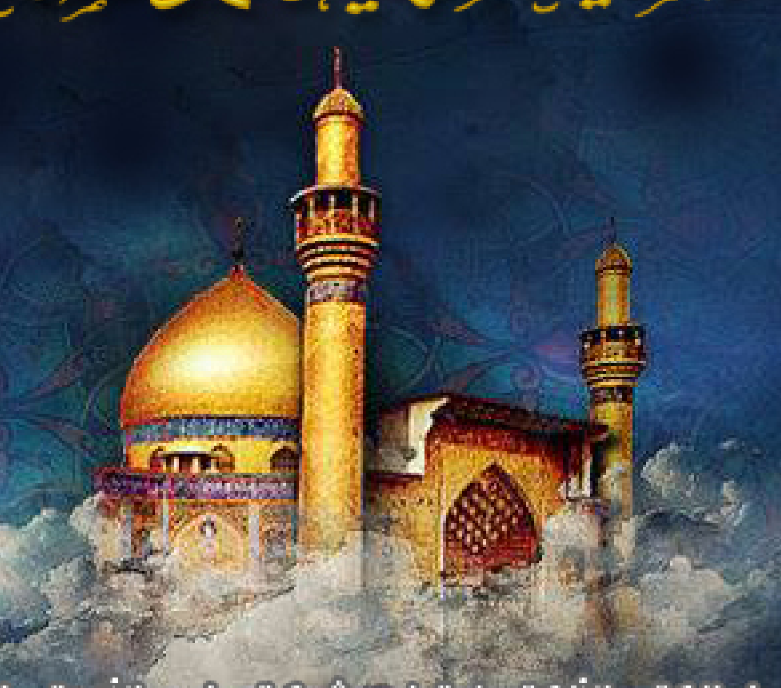


الإمام المهدي المنتظر

تأليف

آية الله العظمى

السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره



PDF

الإمام المهدي المنتظر (عج)

(مختصر موسوعة الإمام المهدي ﷺ)

تأليف
آية الله العظمى
السيد الشهيد محمد الصدر (قده)

تحقيق
مؤسسة المنتظر (عج)
لإحياء تراث آل الصدر

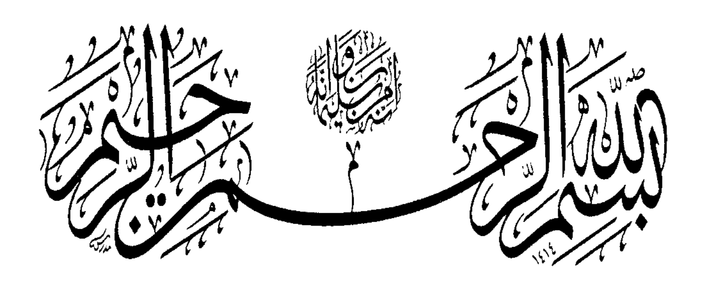
سرشناسه: صدر، سید محمد، ۱۹۴۳ - ۱۹۹۹م.
عنوان قراردادی: موسوعة الإمام المهدي عليه السلام. برگزيده
عنوان و نام پديدآور: الإمام المهدي المنتظر عليه السلام (مختصر موسوعة الإمام المهدي عليه السلام)/ تـأليف السيد محمد الصدر قدس سره.
مشخصات نشر: قم: مدين، ۱۳۹۳.
مشخصات ظاهرى: ۱۲۵ ص.
شابك: 978-964-227-078-1
وضعيت فهرست نويسى: فيپا
يادداشت: عربى.
يادداشت: كتابنامه: ص. ۱۱۷-۱۲۱؛ همچنين به صورت زير نويس.
موضوع: محمّد بن حسن (عج)، امام دوازدهم، ۲۵۵ق.
موضوع: مهدويت -- انتظار
موضوع: فتن وملاحم
موضوع: آخر الزمان
رده بندى كنگره: ۱۳۹۳ ۸۰۱۷م ۳۸ص/ ٤/ ۲۲٤ BP
رده بندى ديويى: ۲۹۷/ ٤٦۲
شماره كتابشناسى ملى: ۳٤۹٤٦۹٤

الإمام المهدي المنتظر

(مختصر موسوعة الإمام المهدي عليه السلام)

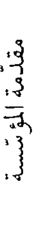
✓ المؤلف: آية الله العظمى السيّد الشهيد محمد الصدر قدس سره
✓ تحقيق: مؤسّسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر
✓ الناشر: مدين للطباعة والنشر
✓ العدد: ۲۰۰۰
✓ المطبعة: وفا
✓ الطبعة: الأولى -١٤٣٥ هـ-٢٠١٤م
✓ الزينگراف: مدين
✓ رقم الإيداع الدولي: 978 -964-227-078-1

+۹۸ ۲۵۱ -۷۸۳۳۳۳۷ +۹۸ -۹۱۲۷٤۷۳۸۵۲
Email: Al_montazer16@yahoo.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، المتعالي في عزِّ جلاله عن مطارح الأفهام فلا يحيط بكنهه العارفون، المتقدّس بكمال ذاته عن مشابهة الأنام فلا يبلغ صفتَه الواصفون، المتفضّل بسوابغ الإنعام فلا يحصي نعمه العادّون، المتطوّل بالمنن الجسام فلا يقوم بواجب شكره الحامدون. والصلاة والسلام على رسوله المبعوث لتمهيد قواعد الدّين وتهذيب مسالك اليقين، وعلى آله آل الله الهداة المهديّين، وعترته الكرام الطاهرين.



وبعد، فقد امتازت موسوعة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف التي صنّفها السيّد الشهيد السعيد الصدر الثاني قدّس سرّه على ما سواها ممّا صنّف حول الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف من جهتين:

الجهة الأُولى: من ناحية السبق التاريخيّ؛ حيث لم تَعرف المكتبةُ الإسلاميّةُ قبلها مصنَّفاً يُضارعها في البُعدين الأُفقيّ والعموديّ، بل لم يُصنَّف بعدها ما يكافئها، فأمست بهذا ضالّةَ كلّ باحثٍ يبحث عن أجوبةٍ علميّةٍ رصينةٍ في هذا الباب، بعد أن كانت المصنّفاتُ قبلها - في الأعمّ الأغلب- مدوَّناتٍ تشتمل على روايات الفريقين، أو من طرق الخاصّة فحسب، دون أن تتضمّن تحليلاً علميّاً يرقى بها إلى مصافّ الإبداع، بخلاف ما تنضح به الموسوعة محلّ الكلام.

الجهة الثانية: من ناحية الظرف التاريخيّ؛ حيث وُلدت الموسوعة في

وقتٍ كانت الأفكار الماركسيّة والماديّة قد اجتاحت العالم بأسره ولفّت بجناحيها الحاضرةَ الشرقيّةَ على وجه التحديد، وقد هيمنت هذه الأفكار في مجال حركتها، وعاثت في بلاد المسلمين فساداً فكريّاً دون أن يؤرّق مضجعها دراساتٌ جادّةٌ ترتقي إلى مستوى مقارعتها، سوى دراسات لا يتعدّى عددها أصابع اليد.

ولا شكّ في أنَّ ما سطّرته يراع المعلّم الكبير السيّد الشهيد محمّد باقر الصدرقدس سره في كتابيه (اقتصادنا) و(فلسفتنا) قد احتلّ موقع الصدارة في هذا السياق، ونقل المعركة مع الفكر الماركسي من مرحلة الضوضاء الإعلاميّة والشعارات الرنّانة إلى مرحلة النزال الجادّ الذي أقضّ مضجعه، فعرفت الماركسيّة لأوّل مرّة عدوّاً لم تمتلك إلَّا الاعتراف بنزاهته وبقدرته على النزال في آنٍ. ومع ذلك، فإنَّ الأُطروحات المودعة في الجزء الرابع- اليوم الموعود- من (موسوعة الإمام المهديّعجل الله فرجه) لا تقلّ شأناً عمّا جاء في الكتابين المذكورين، بل تُعتبر في واقع الأمر استكمالاً لأُطروحتها؛ لأنّها فصّلت ما أجملاه، واستحضرت ما أهملاه، ومن أبرز ما اشتملت عليه ما جاء فيها حول إيضاح المستقبل السعيد الموعود للبشريّة في الحقلين الماركسي والإسلامي، والبديل الصالح عن الماديّة التاريخيّة.

من الصعوبة بمكان أن نقدّم في هذه العجالة مقدّمةً تعريفيّةً لكتاب (موسوعة الإمام المهديّعجل الله فرجه)، لا سيّما أنَّ منهجيّة السيّد الشهيد منهجيّةٌ معرفيّةٌ تحليليّةٌ تقوم على كثرة التشقيق والتفريع والتنظير للمقدّمات والأهداف، الأمر الذي حتّم عليه تأسيس طرقٍ متعدّدةٍ من أجل إثبات تلك الأهداف، فكتب مقدّمته المفصّلة التي صدّر بها الجزء الأوّل، والتي ذكر فيها



منهجاً مفصّلاً خاصّاً بـه، سـيعمد إلى الالتـزام بـه إلى آخـر الأبحـاث المقـرّر الخوض فيها؛ وذلك من أجل التخلّص من مشاكل الفجوات والعثرات التـي تصاحب دراسة تاريخنا الإسلاميّ الخاصّ، بالإضـافة إلى منهجيّتـه المركّبـة في قبول الروايات ورفضها، والتي أطلق عليها اسم (التشدّد السندي)[1].

ولا نبالغ إذا قلنا: إنَّ موسوعة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف قـد اسـتطاعت منـذ صدورها في القـرن المـاضي - وبـسبب فرادتهـا وتميّزهـا- أن تـصبح المرجـع الرئيس في بابها، فلا مناص أمام الباحث المحقّق من الرجوع إليها والاستزادة منها، حتّى لا يكاد يخلو محفلٌ علميٌّ حول قضيّة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف من ذكرها والاستشهاد بما جاء فيها من آراءٍ راقيةٍ ومواضيع مهمّة.

وقد كتب السيّد الشهيد الصدر الثاني قدّس سرّه الجزء الأوّل منهـا في تـاريخ: ٨/ ربيع الثاني/ ١٣٩٠هـ. مطبوع.

والجزء الثاني في تاريخ: ٨/ شهر رمضان/ ١٣٩٠هـ. مطبوع.

والجزء الثالث في تاريخ: ١١/ شهر رمضان/ ١٣٩٢هـ. مطبوع.

والجزء الرابع في تاريخ: ١٢/ محرّم/ ١٣٩٦هـ. مطبوع.

بينما لا يزال الجزء الخامس- الذي تمّ الفـراغ منـه بتـاريخ: ٦/ جمـادى الثانية/ ١٣٩٧هـ - مخطوطاً ينتظر أن يبصر النّور.

وفي المقام نكتفي بما ذكره المعلّم الكبير السيّد الشهيد محمّد باقر الـصدر عند تقديمه لهذه الموسوعة الجليلة؛ قال قدّس سرّه: «... وسأقتصر على هـذا المـوجز من الأفكار تاركاً التوسّع فيها وما يرتبط بها مـن تفاصـيل إلى الكتـاب القـيِّم

(١) أُنظر: تاريخ الغيبة الكبرى: ١٩٧، وما بعدها، القسم الأوّل، الفـصل الأوّل: مـنهج التمحيص السندي.

الذي أمامنا؛ فإنّنا بين يدي موسوعةٍ جليلةٍ في الإمام المهديّ، وضعها أحد أولادنا وتلامذتنا الأعزّاء، وهو العلّامة البحّاثة السيّد محمّد الصدر حفظه الله تعالى، وهي موسوعةٌ لم يسبق لها نظيرٌ في تأريخ التصنيف الشيعيّ حول المهديّ عليه السلام في إحاطتها وشمولها لقضيّة الإمام المنتظر من كلّ جوانبها، وفيها من سعة الأُفق وطول النفس العلميّ واستيعاب الكثير من النكات واللفتات، ما يعبِّر عن الجهود الجليلة التي بذلها المؤلِّف في إنجاز هذه الموسوعة الفريدة.

وإنّي لأحسّ بالسعادة وأنا أشعر بما تملؤه هذه الموسوعة من فراغ، وما تعبِّر عنه من فضلٍ ونباهةٍ وألمعيّة. أسأل المولى سبحانه وتعالى أن يقرَّ عيني به ويريني فيه عَلَماً من أعلام الدين...»[1].

هذا، والكتاب الذي بين يديك ـ عزيزي القارئ ـ عبارةٌ عن مختصرٍ للأجزاء الثلاثة الأُولى لموسوعة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه، وقد كتبه السيّد الشهيد الصدر الثاني قدّس سرّه تسهيلاً للقارئ الكريم وتبسيطاً لما جاء في الموسوعة نفسها، وقد كان من المقرّر أن يُطبع في مطلع سبعينيّات القرن الماضي، كما هو مثبّت على الصفحة الأُولى من النسخة الخطيّة، ولكنّه لم يرَ النور لأسبابٍ مجهولة.

نسأل الله تعالى شأنه التوفيق لإتمام ما بدأنا به من تحقيق تراث هذا الجبل الأشمّ والرجل الإلهيّ الثائر؛ فإنّه سبحانه أرحم الراحمين.

---

(١) كان ذلك بتاريخ: ١٧/ جمادى الثانية/ ١٣٩٧هـ. أُنظر: موسوعة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه ١: ٤٠ - ٤١.

منهجنا في التحقيق

اقتصر عملنا في تحقيق هذا الكتاب على ما يلي:

أوّلاً: المقابلة مع النسخة الخطّيّة بيد السيّد الشهيد قُدِّسَ سِرُّهُ.

ثانياً: تقويم النصّ ومراجعته وتصحيحه طبقاً للمعايير المعهودة في التحقيق والتدقيق.

ثالثاً: تقطيع المتن وتنظيم فقراته بحسب اقتضاء الحال.

رابعاً: تخريج الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة من المجاميع الروائيّة المعتبرة، وضبطها وتمييزها عن غيرها.

خامساً: إرجاع الآراء الواردة في الكتاب إلى أصحابها ومصادرها الأصليّة.

سادساً: إضافة العناوين الرئيسيّة والفرعية في أماكنها المناسبة.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لكلّ ما فيه الخير والصلاح، إنّه سميع مجيب.

كما نستغفره تعالى شانه من كلّ زللٍ وخطأ، سائلين العلماء والباحثين الكرام أن يتجاوزوا عن كلّ عيب ونقصٍ لُوحظ في إخراج هذا الكتاب؛ فإنّ الكمال لله وحده.

والحمد لله أوّلاً وآخراً

عادل الطائي

مؤسّسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر

الرابع من شهر رجب الأصبّ عام ١٤٣٥هـ- قمّ المقدّسة

صورة من الأصل بخط السيد قدس سره

المقدمة

الفصل الاول

ولادته و غيبته الصغرى

١

- ١ -

- عمة .. هل لك ان تبيتي عندنا هذه الليلة ، فانه سيولد فيها المولود الكريم على الله عزوجل ، حجة الله في ارضه .
هكذا قال الامام الحسن العسكري عليه السلام لعمته حكيمة عندما ارادت ان تغادر داره عند المساء .

- ممن ابنه .
- نرجس .
- ليس في نرجس اثر للحمل .
- هو ما اقول لك ، يا عمة .

فتذهب العمة و تفحص نرجس جيدا فلا تجد اثرا للحمل ، فتعود فتخبر الامام تارة اخرى . فيبتسم الامام عليه السلام و يقول :

- اذا كان وقت الفجر يظهر لك الحمل .. لان مثلها كمثل ام موسى ، لم يظهر بها الحبل و لم يعلم بها احد الى وقت ولادتها . لان فرعون كان يشق بطون الحبالى ، في طلب موسى عليه السلام . و هذا نظير موسى عليه السلام .

- ٢ -

و هذا الكلام من الامام العسكري عليه السلام يتضمن برهانا على امكان هذا الامر وصحته . و ايضاح هذا البرهان مع مقدماته هو :

ان الله تبارك وتعالى اقتضت حكمته الازلية ان يستهدف من خلق البشرية هدايتها وارشادها و اخراجها من الظلمات الى



والمدلول الإسلامي الصحيح [للتقية] لا يتضمن الاستخذاء تجاه الظلم والانعزال عن المجتمع إطلاقاً، وإنما يتضمن مدلولين رئيسيين:

الأول: ستر الأعمال الاجتماعية التي تقتضي المصلحة الإسلامية سترها. إما باعتبار أن انكشافها يقتضي القضاء عليها أو باعتبار أنه يقتضي الكفكفة من تأثيرها وقلة النشاط. ويكون في سترها وخفائها استمراراً وازدهاراً.

وهو بعينه المفهوم الحديث عن السرية، التي تكون في الأعم الأغلب تمشي في جو سري مستحكم في عالم اليوم.

الثاني: المحافظة على النفس، لا حرصاً على الحياة، بل لأجل ضمان الحفاظ على المحتفظين بالحق الإسلامي الواقعي من المسلمين.. ولكي لا ينقص عددهم بالقتل الذي قد يقع عليهم من قبل المنحرفين الظالمين، لو علموا الأعمال المثيرة لهم وأعلنوا الجهاد ضدهم.

ومن ثم يكون عدم الأخذ بالتقية، مفهوماً وسلوكاً، مؤدياً - على الأقل - إلى بطء وجود العدد الكافي من المخلصين الممحصين الذين يشكل وجودهم أحد الشرائط الأساسية للظهور. ويتكفلوا مسؤولية نشر القسط والعدل في العالمين بين يدي (المهدي ع). فإن من يقوم بالجهاد، في كل عصر، ليس إلا النخبة المؤمنة من المخلصين الذين يحصل فيهم النجاح في التمحيص الإلهي. لأنهم أسرع الناس إلى طاعة هذا التكليف الإسلامي.

فاذا لم يكن الامر بالتقية موجودا لتسبب الجهاد الى استئصال المخلصين في كل عصر، او لتعذر وجود شرط الظهور على طول الخط، فيمتنع الغرض الالهي الكبير، في هداية العالم في اليوم الموعود.

وقد حققنا في «تاريخ الغيبة الكبرى» ان موارد وجوب التقية، هي بعينها موارد عدم وجوب الجهاد عند عدم اجتماع شرائطه. لا ان [illegible] موارد وجوب الجهاد هي موارد عدم جواز الاخذ بالتقية، على تفصيل لا مجال الآن للدخول [illegible] فيه.

- ٥ -

وعلى أي حال، فما على الفرد المؤمن اسلامياً الآن يتبع الاحكام والقواعد، المفهومة من الاسلام والمتبناة من قبله، لينال بذلك العدالة في السلوك الفردي اولاً، ويكون لبنة صالحة في بناء المجتمع ثانياً. ويكون من المخلصين الممحصين الذين سيكون لهم شرف المشاركة في اليوم الموعود بقيادة الامام المهدي عليه السلام.

رزقنا الله هذه السعادة الكبرى، ووفقنا للخير في الدارين انه على كل شيء قدير.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

محمد الصدر

الإمام المهدي المنتظر

المقدّمة

تُعتبر فكرة المهديّ بالمقدار المعاش في أذهان الناس، فكرةً غامضةً وضحلةً يكتنفها الغموض من كلِّ جانب، وتحيطها الأسئلة من كلِّ صوبٍ وحدب، ويكون موقف الفرد الاعتياديّ تجاه هذا الغموض هو أحد احتمالين لا يكاد يجد لهما ثالثاً:

* فإنَّ هذا الفرد إن كان مقتنعاً بوجود المهديّ أساساً، لم يسعه إنكاره طبقاً لهذه المصاعب، وأوكل الجواب على ما قد يثار من الأسئلة وما قد تعرض من مشاكل إلى الله تعالى، وانتصر بالإيمان بالمهديّ على إجماله وغموضه.

* وإن كان الفرد مشكّكاً في هذه الفكرة خصوصاً أو في الدين عموماً، وجد من هذه المشاكل مدخلاً واسعاً إلى إنكار الفكرة والتمرّد عليها والتعصّب ضدّها، وأنّها ليست إلّا من نسج الخيال ومولّدات التفكير الواطئ في المجتمع.

ولم تكن فكرة المهديّ معروضةً عرضاً تحليليّاً واسعاً موافقاً للفهم الإسلاميّ الصحيح، لكي تذلّل به كُلّ هذه المشاكل ويجاب على كلِّ الأسئلة التي تثار بخصوصه؛ ليؤمن به المؤمنون عن وعيٍ وإدراكٍ لا عن غموضٍ وإجمال، ولكي يستطيع المشكّكون أن يعيدوا النظر في مواقفهم بعد أن يجدوا في هذه الفكرة الدرجة المنطقيّة والاجتماعيّة الكافية التي تؤهّلها أن تقف في مصافّ أهمّ الأفكار وأوسعها وأدقّها في عالم اليوم.

إنَّ فكرة المهديّ هي فكرة بناء المستقبل السعيد العادل للبشريّة على يد قائدٍ فذٍّ ينتهي بها عن طريق حكمته وتدبيره إلى أكمل وأعدل شكلٍ ممكنٍ في



الوجود الفرديّ والاجتماعيّ للناس.

وهي فكرةٌ، قد أُخذت بنظر الاعتبار - كما ثبت إسلاميّاً- منذ أوّل خلق البشريّة وإلى العصر الحاضر، وإلى المستقبل السعيد الموعود. وإنَّ كلّ جهود البشريّة وتاريخها الطويل منصبٌّ ومكرّسٌ من أجل التوصّل إليه؛ باعتباره مكرّساً من أجل التكامل نحو الأحسن والأعدل باستمرار.

وقد اقترنت هذه الفكرة بعدّة أسئلةٍ أثارها الفهم الإسلاميّ للمهديّ عامّة، والفهم الإماميّ له خاصّة، كتسمية المهديّ، وطول عمره، وإمكان غيبته، وفائدته في خلال غيبته، وما سوف يعمله بعد ظهوره إلى غير ذلك.

ومن هنا شمّرتُ عن ساعد الجدّ، متوكّلاً على الله، فبدأتُ بكتابة موسوعة الإمام المهديّ عليه السلام ناوياً الجواب على كلِّ ما يحتمل إثارته من الأسئلة حول هذا الموضوع.

وما هذا الكتاب الذي بين يديك إلّا مختصرٌ ضئيلٌ عن بعض كتب الموسوعة[١]، ولكنَّه في نفس الوقت يحمل الفكرة الكافية التي تُخرج فكرة المهديّ عن غموضها وإجمالها، إلى وضوحها وربطها بماضيها وحاضرها ومستقبلها، وربطها بالفهم الإماميّ لهذه الفكرة على وجه التعيين.

فالفصل الأوّل يتكفّل [...][٢].

---

(١) وهي الأجزاء الثلاثة الأُولى دون الأخيرين، أي: دون كتاب: اليوم الموعود، وكتاب: هل الإمام المهديّ عجل الله فرجه طويل العمر (مخطوط).

(٢) فالفصل الأوّل يتكفّل موضوع ولادته وغيبته الصغرى، والفصل الثاني يتكفّل بيان التخطيط الإلهي لليوم الموعود، والفصل الثالث يجيب عن سؤال طول عمر الإمام المهدي عجل الله فرجه، فيما يتناول الفصل الرابع موضوع الغيبة الكبرى، وأمّا الفصل الخامس والأخير فيبحث في التكليف الإسلامي خلال عصر الغيبة الكبرى.

الفصل الأوّل

ولادته وغيبته الصغرى

البرهان على إمكان خفاء الحمل

- ١ -

- عمّة.. هل لكِ أن تبيتي عندنا هذه الليلة؛ فإنَّه سيولد فيها المولود الكريم على الله عزّ وجلّ، حجّة الله في أرضه.

هكذا قال الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام لعمّته حكيمة عندما أرادت أن تغادر داره عند المساء.

- ومَن أُمّه.

- نرجس.

- ليس في نرجس أثرٌ للحمل.

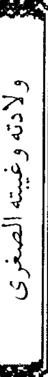
- هو ما أقول لكِ، يا عمّة.

فتذهب العمّة وتفحص نرجس جيّداً فلا تجد أثراً للحمل، فتعود فتخبر الإمام تارةً أُخرى، فيبتسم الإمام عليه السلام ويقول:

- إذا كان وقت الفجر يظهر لكِ الحبل؛ لأنَّ مَثَلها كمثل أُمّ موسى، لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحدٌ إلى وقت ولادتها؛ لأنَّ فرعون كان يشقّ بطون الحبالى في طلب موسى عليه السلام، وهذا نظير موسى عليه السلام[1].

---

(١) راجع ذلك في إكمال الدين: ٤٢٧، الباب الثاني والأربعون، ما روي في ميلاد القائم عليه السلام، وبحار الأنوار ٥١: ١٢ - ١٣، الحديث ١٤.



وهذا الكلام من الإمام العسكريّ عليه السلام يتضمّن برهاناً على إمكان هذا الأمر وصحّته. وإيضاح هذا البرهان مع مقدّماته هو:

أنَّ الله تبارك وتعالى اقتضت حكمته الأزليّة أن يستهدف في خلق البشريّة هدايتها وإرشادها وإخراجها من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

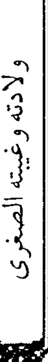
ولأجل هذا الهدف الأعلى كانت بعثات الأنبياء والرسل مبشّرين ومنذرين، ومن هنا كان وعد الله القاطع بإقامة دولة الحقّ والهدى على وجه الأرض؛ فإنَّ الأرض لله يورثها لعباده المتّقين الصالحين.

والهدف الإلهيّ إذا كان لزوميّاً ومهمّاً، توصّل الله تعالى إليه بقدرته بما شاء من الوسائل والطرق؛ فإنَّه القادر على كلِّ شيء، و﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2]. فإن كان في الإمكان تحقّق الهدف بالطريق الطبيعيّ، كان هو المتعيّن، وإن تعذّر ذلك توصّل الله تعالى إلى إيجاده عن طريق خرق النظام الكونيّ الطبيعيّ بالمعجزات، وأهون بالجهد البشريّ أن يكون حائلاً أو مانعاً بين إرادة الله تعالى وبين تنفيذ ما يريده من الأهداف في خلقه.

وإذ يجتمع أمران: ضغط السلطات الحاكمة ضغطاً عالياً من جهة، وأن يكون لوجود الفرد المطارَد أثرٌ مهمٌّ في تحقيق الهدف الإلهيّ من جهةٍ أُخرى، ولم يمكن حفظه من السلطات بشكلٍ طبيعيّ؛ إذن يتعيّن حفظه بطريقٍ إعجازيّ، توصّلاً إلى الهدف الكبير، وهو هداية البشريّة في مستقبل الدّهر.

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة يس، الآية: ٨٢.



وبين يدينا الآن مثالان لذلك:

أحدهما: النبيّ موسى بن عمران على نبيّنا وعليه السلام، فإنَّ الله تعالى حين كان له غرضٌ مهمٌّ ملزمٌ بهداية البشريّة في زمانٍ مستقبلٍ بواسطة هذا النبيّ عليه السلام، وكان ذلك متوقّفاً على ولادته صحيحاً سالماً، ولم يكن ذلك ممكناً باعتبار وجود الضغط العالي المتوجّه من سلطات فرعون يومئذٍ؛ لأنّه كان قد أمر بمراقبة الحوامل وإجهاضهنّ أو قتل المولود إذا كان ذكراً.

إذن يتعيّن حفظه بطريقٍ إعجازيّ تحفّظاً على الغرض الإلهيّ الكبير الذي سيكون موسى المسؤول الرئيسيّ لتنفيذه وتطبيقه في حينه. ومن هنا توصّل الله تعالى إلى إخفاء حمله وولادته بالمعجزة.

ثانيهما: الإمام المهديّ عليه السلام الذي تعلّق الغرض الإلهيّ المهمّ الملزم بهداية البشريّة بواسطته في مستقبل الزمان، وتنفيذ وعد الله تعالى بإيجاد دولة الحقّ على يده؛ وذلك يتوقّف على ولادته وبقائه حيّاً سالماً.

ومن هنا أفاض الله تعالى عنايته الخاصّة وإرادته اللا نهائيّة، تحفّظاً على غرضه الكبير وتحدّياً للجهد البشريّ المتواضع الذي تبذله السلطات ضدّه؛ وذلك بإقامة المعجزة في إخفاء الحمل من ناحية، وفي بقائه أمداً طويلاً من الدهر من ناحيةٍ ثانية، وسيأتي له إيضاحٌ آخر في مستقبل هذا البحث.

وإذ يكون المثال الآخر - وهو موسى بن عمران - واضحاً في أذهان المسلمين، وثابتاً في كثيرٍ من جوانبه بنصِّ القرآن؛ إذن، فلا بُعد في قدرة الله تعالى أن يقوم بذلك بالنسبة إلى المهديّ عليه السلام.

هكذا أراد أن يقول الإمام العسكريّ عليه السلام لعمّته رضي الله عنها، ولأجيال المسلمين.

وإذ تسمع حكيمة تأكيد الإمام عليه السلام ودليله، تعود إلى نـرجس فتخبرهـا بما قال، وتسألها عن حالها، فتقول نرجس: يا مولاتي، ما أرى بي شيئاً من هذا.

وأسدل الليل ستوره القاتمة، ونامت نرجس، أمّا حكيمة فلم تـنم، إنّهـا يقظةٌ حذرةٌ تقضي الوقت بالتوجّه إلى الله والتعبّد إليه، إنّها تؤدّي صلاة الليل، وإذ تنتهي منها تجلس للدعاء عقيب الصلاة، وهي في كلّ ذلك ترقب نـرجس فلا تجد عليها إلّا النوم الهادئ، لا تقلّب فيه جنباً عن جنب.

واستيقظت نرجس أيضاً وتوجّهت إلى بارئها العظيم بالدعاء والعبادة، فأدّت صلاة الليل، ثُمَّ نامت مرّةً أُخرى وهي لا تحسّ بشيء.

حتّى إذا كان وقت طلـوع الفجـر، وثبـت نـرجس مـن نومهـا فزعـةً، فضمّتها حكيمة إلى صدرها، قائلة: اسم الله عليك، هل تحسّين بشيء.

قالت: نعم يا عمّة.

وهنا يأمر الإمام عليه السلام حكيمة بأن تقرأ عليها سورة الدخان، وهي التـي تبدأ بقوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾[1].

إنَّ هذه الآيات هي المناسبة مع مثل هذا الموقف العظيم.

ولا يخفى مـا في التوقيـت بـالفجر مـن أهمّيّـةٍ خاصّـةٍ في زيـادة الحـذر والخفاء؛ فإنَّ هذه العائلة كانـت في ذلـك الوقـت في يقظـة، وكـلّ مَـن يتـولّى

(١) سورة الدخان، الآية: ١-٥.

السلطة والتجسّس يغطّ في نومٍ عميق.

وحين يحين وقت الولادة يحدث نوعٌ من الغموض بين الامرأتين. تقول حكيمة: حتّى غيّبت عنّي نرجس فلم أرها، كأنّه ضرب بيني وبينها حجاب.

وتنتبه حكيمة، فتجد الإمام المهديّ عليه السلام ساجداً على الأرض لربّه العظيم، نظيفاً مفروغاً، فيستدعي به أبوه عليه السلام، فتحمله إليه.

مسؤوليّة الإمام العسكريّ عليه السلام تجاه ولده

- ٤ -

ويتكفّل الإمام العسكريّ عليه السلام تجاه ولده المهديّ عليه السلام وظيفةً مزدوجةً تحتاج كلٌّ منهما إلى تخطيطٍ خاصّ، ويحتاج الجمع بينهما إلى غايةٍ في الحذر وفي اللباقة الاجتماعيّة.

الوظيفة الأُولى: إثبات وجود الإمام المهديّ عليه السلام تجاه التاريخ، وتجاه الأُمّة الإسلاميّة، وتجاه مواليه الذين يعتبرون المولود الجديد إمامهم الثاني عشر، بحسب نصّ النبيّ حين قال: «**يكون بعدي اثنا عشر خليفةً كلّهم من قريش**»[1]، فليس من الممكن ولا من المنطقيّ أن يبلغ الحذر والتوقّي عليه، إلى إخفائه الكامل، بحيث يؤدّي إلى انطماس اسمه وإنكار وجوده.

بل لابدّ من إقامة الحجّة على وجوده بحيث يكون هناك تواترٌ قطعيٌّ في الإخبار عن وجوده ورؤيته، يدحض به قول من يزعم عدم وجوده أو أنّه ليس للإمام العسكري عليه السلام ولد.

الوظيفة الثانية: حماية الإمام المهديّ عليه السلام من السيف العبّاسي والمطاردة

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٥٥، في عدد أوصياء النبيّ صلى الله عليه وآله، الحديث ١٤، وإكمال الدين: ٢٧٣، الباب الرابع والعشرون: نصّ النبيّ على القائم عليه السلام، الحديث ٢٢، والغيبة (للطوسيّ): ١٢٨، الدليل على إمامة صاحب الزمان عليه السلام، الحديث ٩٠، ومسند أحمد ٥: ٩٢، حديث جابر بن سمرة.

الحكوميّة، التي كانت قائمة على قدمٍ وساقٍ ضدّه وضدّ آبائه عليهم السلام.

وكانوا يشعرون بأنَّ ولادة المهديّ عليه السلام، وهو الشخص الذي ملأ رسول الله صلى الله عليه وآله أسماعهم بأنّه: «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً...»[1]، أنَّ ولادته تعني الحكم على نظامهم بالموت المحتّم، وفضح مخطّطاتهم المنحرفة وأساليب عصيانهم لأوامر الإسلام، وإهمال طاعة الله تعالى وعدم الاهتمام بالأُمّة الإسلاميّة، فقد كانوا يدركون أنَّ مجتمعهم الذي يحكمونه قد امتلأ جوراً وظلماً بفعل انحرافهم وسوء تصرّفهم.

إذن، فمن المنطقيّ أن يتصدّى الإمام المهديّ عليه السلام؛ لكي يملأه قسطاً وعدلاً، وهذا ما يخافونه ويرهبونه.

وهم، وإن لم يحدّدوا تاريخ ميلاد الإمام المهديّ عليه السلام بالضبط؛ لمدى السرّيّة التامّة المحاطة به تجاههم، إلّا أنّهم يعلمون على الإجمال أنَّ زمانه قد أظلّهم وأنّه على وشك الوجود؛ فإنّه يكفيهم أن يعرفوا أنَّ الإمام العسكريّ عليه السلام يكون في السلسلة التي وعد بها رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحادي عشر[2]؛ لكي يكون ولده هو الثاني عشر، وهو المهديّ عليه السلام.

ويدلّ على ذلك أيضاً وعلى جهلهم بتحديد التاريخ، ما نسمعه في

---

(١) إكمال الدين: ٢٢، إثبات الغيبة والحكمة فيها، والغيبة (لابن أبي زينب النعماني): ٨٤، الباب الرابع: ما روي في أنَّ الأئمّة إثنا عشر إماماً...، الحديث ١٠، ومناقب آل أبي طالب ١: ٢٤٣، ومسند أحمد ٣: ٣٦، مسند أبي سعيد الخدريّ، والمستدرك على الصحيحين ٤: ٤٦٥، ذكر خروج المهديّ عليه السلام.

(٢) وقد برهنّا في «تاريخ الغيبة الصغرى» على معرفة بعض الخلفاء العبّاسيّين بأنَّ الحقّ في جانب الأئمّة المعصومين عليهم السلام (منه قدس سره). راجع تاريخ الغيبة الصغرى: ٧١، وما بعدها، القسم الأوّل: تاريخ الإمامين العسكريّين، الفصل الأوّل: في عصرهما.



التاريخ من مراقبتهم للحوامل عند وفاة الإمام العسكريّ عليه السلام؛ ظنّاً منهم بوجود الإمام المهديّ عليه السلام جنيناً في رحم إحدى النساء، مع أنّه كان مولوداً قبل خمس سنوات، كما اطّلع على ذلك الخاصّة من مواليه[1].

ومن هنا كان عمل السلطات في تلك الظروف، أقرب شَبَهاً بالحركات العصبيّة التي يقوم بها المخنوق عند خنقه أو الغريق قبل إنقاذه؛ فإنّها تعلم بوجود شيءٍ خطرٍ مشرفٍ عليها شديد الأهمّيّة بالنسبة إليها، ولكنّها تشعر بالعجز تجاهه وضيق الباع في الوصول إليه، والوقوف عليه، وليس في الجانب الآخر إلّا العزّل والفقراء والمضطهدون، ولعلّها تحسّ تجاه ذلك بالتحدّي لقوّتها وعزّتها، فتزيد من نشاطها وتبذل المستحيل في سبيل الحصول على الإمام المهديّ عليه السلام والقبض عليه.

فكانت هاتان الوظيفتان المزدوجتان للإمام العسكريّ عليه السلام توقفه في موقفٍ غايةٍ من الدقّة والحرج، وبخاصّةٍ وأنّ كلتا الوظيفتين ضروريّةٌ بالنسبة إليه لا يمكنه التخلّي عنهما.

ويزيد الموقف دقّةً أنّ الإمام العسكريّ يعيش في هذا المجتمع الصاخب تحت الأضواء المسلّطة عليه من كلِّ الجهات والرقابة الاجتماعيّة التي تلاحقه؛ لعدّة أسباب:

منها: أنّه الرجل المثاليّ الإسلاميّ في عبادته وأخلاقه وعلمه في نظر الجميع.

ومنها: أنّه القائد والموجّه لقواعد شعبيّةٍ واسعةٍ من المسلمين.

---

(١) راجع إكمال الدين: ٤٠٧، الباب الثامن والثلاثون، الحديث ٢، وما بعده، وراجع أيضاً تاريخ الغيبة الصغرى: ٢٢٧، وما بعدها، ولادة الإمام المهديّ عليه السلام.

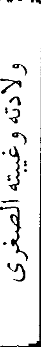


ومنها: أنَّه يمثّل جبهة المعارضة الصامدة ضدّ السلطات الحاكمة.

ومنها: أنَّ الحكومة تستمرّ في تقريبه من البلاط ودمجه في الحاشية، كما برهنّا عليه في تاريخ الغيبة الصغرى[1].

وأنَّ الشخص الذي تكون له بعض هذه الخصائص - فضلاً عن جميعها - يكون لولده أهمّيّةٌ كبيرةٌ وخبرٌ منتشرٌ واسعٌ، وخاصّةً إذا كان للمولود أهمّيّةٌ خاصّةٌ ... كان مهديّ هذه الأُمّة.

إذن، فمن طبيعة المجتمع أن تتوجّه الأنظار من كلِّ حدبٍ وصوبٍ إلى ميلاد الإمام المهديّ عليه السلام، وبخاصّةٍ من قبل السلطات الذين يعيش في بلاطهم ويزوره في الأسبوع مرّتين[2].





---

(١) راجع تاريخ الغيبة الصغرى: ٢٣٦، الفصل الرابع: في تاريخ الإمام المهديّ عليه السلام خلال حياة أبيه، ما بعد المولد.

(٢) راجع تاريخ الغيبة الصغرى: ٢٣٦، الفصل الرابع: في تاريخ الإمام المهديّ عليه السلام خلال حياة أبيه، ما بعد المولد.

-٥-

وكان أقرب تخطيط للخروج من هذا المأزق هو ترك الإعلان الاجتماعيّ عن ولادة المولود الجديد بالكلّيّة، وكأنَّ شيئاً لم يحدث على الإطلاق بالنسبة إلى الفهم العامّ، وترك الأحداث تسير في مجراها الاعتياديّ دون إثارة أيّ انتباهٍ أو فضولٍ أو شكٍّ من أحدٍ في شيءٍ من النشاط أو القول أو العمل.

حتّى أنَّ خادم الباب في بيت الإمام العسكريّ عليه السلام لم ينتبه إلى شيءٍ ولم يفهم شيئاً[1].

وإذا لم يحصل الشكّ والانتباه، لم يحصل الفحص والسؤال.

وممّا ساعد الإمام العسكريّ عليه السلام على الإخفاء مساعدةً كبرى، تطبيقه سياسة الاحتجاب على نفسه وانقطاعه عن أصحابه ومواليه إلّا بواسطة المراسلات[2]، حيث استطاع عليه السلام بذلك تحقيق نتيجتين أساسيتين:

(١) أُنظر: إكمال الدين «المخطوط» (منه قدس سره). وراجع إكمال الدين (ط. جديد): ٤٠٧، الباب الثامن والثلاثون، الحديث ٢، وما بعده، وبحار الأنوار ٥٢: ٢٥، الحديث ١٧، وراجع أيضاً تاريخ الغيبة الصغرى (للمؤلِّف): ٢٢٧، وما بعدها، ولادة الإمام المهديّ عليه السلام.

(٢) أُنظر: تاريخ الغيبة الصغرى: [٢٣٧] (منه قدس سره).

إحداهما: تعويد قواعده الشعبيّة على فكرة الاحتجاب والقيادة غير المباشرة، تلك القيادة التي سوف يمارسها الإمام المهديّ عليه السلام خلال غيبته الصغرى على ما سنعرف.

ثانيهما: استقطاب المهامّ التي كان يقوم بها والحوادث التي كان يعيشها بشكلٍ منفردٍ بعيدٍ عن الانتباه وتسليط الأضواء وإثارة الضوضاء.

وحيث يكون إخفاء ولده المهديّ عليه السلام من مهامّه الرئيسيّة، لم يكن ذلك بممتنعٍ عليه بعد تخطيط الاحتجاب.

وقد ساعد على الإخفاء أيضاً مساعدةً كبيرةً، تحوّل انتباه الدولة والمجتمع إلى حرب صاحب الزنج الذي بدأ أعماله التخريبيّة في جنوب العراق والأهواز في عام ميلاد الإمام المهديّ عليه السلام، عام ٢٥٥ على المشهور في ميلاده[١].

والمتتبّع للتاريخ العامّ يعرف ما أوجده هذا المخرّب من الفزع والقلق في أذهان الشعب عامّة والجهاز الحاكم خاصّة.

ومن المعلوم أنّ المجتمع الذي يسوده القلق الذهني يكون فكره مركّزاً على ما يخاف منه، ومن الصعب أن يلتفت إلى شيءٍ آخر، كالفرد الواحد إذا خاف وحشاً تركّز نظره وفكره وقوّته عليه.

فكان وجود صاحب الزنج خير صارفٍ ذهنيٍّ للفهم العامّ عن الالتفات إلى ميلاد الإمام المهديّ عليه السلام.

---

(١) راجع ذلك في إكمال الدين: ٤٧٣ - ٤٧٦، الباب الثالث والأربعون: مَن شاهد القائم عليه السلام ورآه وكلّمه، الحديث ٢٥، وتاريخ مدينة دمشق (لابن عساكر) ٥٢: ٢٢٠، حرف الجيم في أسماء آبائهم، محمّد بن جعفر المتوكّل بن المعتصم.

وإلى هنا استطاع الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام أن يضمن بكلِّ بساطةٍ حماية ولده المهديّ عليه السلام من الجهاز الحاكم ومن كلِّ مَن يدور في فلكه، وبذلك قام بالوظيفة الثانية خير قيام.

-٦-

وأمّا الوظيفة الأُولى له عليه السلام، وهي إثبات ولده المهديّ عليه السلام تجاه الأُمّة الإسلاميّة عامّة ومواليه خاصّة، فكان يجب - تحت الظروف التي عاشها الإمام- أن تتقلّص وأن تضمر، وأن يختصّ التبليغ بوجوده ورؤيته بكلِّ شخصٍ يعلم من قوّة إيمانه وإخلاصه في عقيدته: أنَّ له من صلابة الإرادة ما لا يمكن أن تلين أمام أيّ ضغطٍ من السلطات، بحيث يكون على استعدادٍ أن يقدّم نفسه فداءً في سبيل امتثال أمر إمامه بالكتمان. كما أنَّه لابدَّ أن يعلم من رجاحة عقله واتزانه ولباقته، أنَّه يكتم ذلك في المجتمع كتماناً تامّاً، ولا يتهوّر بإذاعة السرّ إلى مَن لا ينبغي أن يذيعه له، وله الخبرة الكافية بالخاصّة الذين يمكن أن يتبادل وإيّاهم الخبر.

وهكذا كان، وبمقدار هذا التبليغ والإعلان، خطّط الإمام العسكريّ عليه السلام.

وكان هذا سبباً لحجب المولود الجديد حجباً تامّاً مطلقاً عن الجمهور غير الموالي له، بل حتّى عن جمهور الموالين ممَّن لم يحرز فيه قوّة الإرادة وعمق الإخلاص.

وكان كلّ مَن يطلعه الإمام على المولود الجديد، فيريه إيّاه أو يخبره عنه، مكلّفاً تكليفاً إلزاميّاً بأمرين لا مناص له منهما، وهو يطبّقهما باعتبار إخلاصه وقوّة إرادته وإيمانه، وهما:

أوّلاً: وجوب الكتمان، حيث نسمع الإمام العسكريّ عليه السلام يكتب لأحمد بن إسحاق: «وُلد لنا مولودٌ، فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً؛ فإنّا لم نُظهر عليه إلّا الأقرب لقرابته والوليّ لولايته، أحببنا إعلامك ليسرّك الله به، مثل ما سرّنا به، والسلام»[1].

ثانياً: حرمة اطّلاع أحد على اسمه عليه السلام. وهو أُسلوبٌ في الكتمان ورد التأكيد عليه بشكلٍ خاصّ.

حيث نسمع الإمام الهادي عليه السلام حين يبشّر بالحفيد المهديّ عليه السلام يقول: «لأنّكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره باسمه». قال الراوي: فقلت: فكيف نذكره؟ قال: «قولوا: الحجّة من آل النبيّ صلى الله عليه وآله»[2][3]، إلى غير ذلك من النصوص[4].

ولا يخفى أنّ اسم المهديّ المنتظر أساساً معلوم لدى الأُمّة بإخبار نبيّها صلى الله عليه وآله حين قال: «اسمه اسمي»[5].

---

(١) أُنظر: إكمال الدين «مخطوط» (منه قدس سره). وأُنظر: إكمال الدين (ط. جديد): ٤٣٤، الباب الثالث والأربعون: مَن شاهد القائم عليه السلام ورآه وكلّمه، الحديث ١٦.

(٢) أُنظر: تاريخ الغيبة الصغرى: ٢٧٧ (منه قدس سره).

(٣) الكافي ١: ٣٢٨، كتاب الحجّة، باب الإشارة والنصّ إلى صاحب الدار عليه السلام، الحديث ١٣، وإكمال الدين: ٣٨١، الباب السابع والثلاثون: ما أخبر به الهادي عليه السلام من وقوع الغيبة، الحديث ٥، ووسائل الشيعة ١١: ٤٨٧، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب ٣٣، باب تحريم تسمية المهديّ وساير الأئمة عليهم السلام ...، الحديث ٦.

(٤) راجع الباب ٣٣ من الوسائل ١١: ٤٨٥، باب تحريم تسمية المهديّ وساير الأئمّة عليهم السلام ....

(٥) دعائم الإسلام ٢: ١٨٨، في ذكر العقائق، الحديث ٦٨٣، وإكمال الدين: ٢٨٦، الباب الخامس والعشرون: ما أخبر به النبيّ صلى الله عليه وآله، من وقوع الغيبة بالقائم عليه السلام، الحديث ١.

وهذا يعني بكلٍّ وضوح أنَّ اسمه محمّد، وهذه المعرفة لا يختلف فيها الناس من موالين وغيرهم.

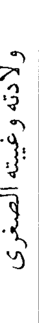
ولكن السلطة القائمة إذ تريد أن تطارد المهديّ المنتظر في شخص المولود الجديد، لابدَّ لها من أمرين:

أوّلاً: أن تعرف ولادته؛ إذ مع الغفلة عنها لا يمكنها بطبيعة الحال أن تجدّد المطاردة الفعليّة الحقيقيّة ضدّه.

ثانياً: أن تعرف شخصه باسمه؛ إذ بدون ذلك لا يمكن أن تحارب فيه المهديّ المنتظر؛ لاحتمال أن يكون المهديّ هو ولدٌ آخر للإمام العسكريّ عليه السلام، لعلّه ولد ولعلّه لم يولد بعد - فيما تحتمله السلطة- وهي ليس لها غرضٌ معيّنٌ إلّا ضدّ المهديّ المنتظر على وجه التعيين.

مضافاً إلى وضوح أنَّ الاسم يكسب الفرد شخصيّته القانونيّة والاجتماعيّة التي يمكن أن تعيّن ويشار إليها به. وأمّا مع الجهل به إلى جانب الجهل بشكله أيضاً، فإنَّه يكتسب نحواً من الغموض وعدم التعيين، في ذهن السلطات، فتحار عند البحث عنه، أنّها تبحث عن أيّ شخصٍ على وجه التحديد.

وهذا الغموض - على أيّ حال- يعطي المهديّ المبحوث عنه رهبةً في صدورهم، وهالةً قدسيّةً في إحساسهم وشعوراً بالعجز تجاهه، وفي هذا ما فيه من التسبّب إلى ضعف معنويّات السلطة، وخاصّة الجنود الفاحصين المطاردين من قبل الدولة.



المقابلات مع الإمام المهديّ عليه السلام خلال الغيبة الصغرى

- ٧ -

والأشخاص الذين حاول الإمام العسكريّ عليه السلام أن يعرض عليهم ولده ويطلعهم عليه عديدون، لا حاجة إلى التعرّض إلى تعدادهم.

ونجد أنّه عليه السلام عرض ولده على أصحابه في اليوم الثالث من ولادته وأعطاهم المفهوم الصحيح الأساسيّ الذي أوكله الله تعالى إليه، وعيّن لهم تكليفهم تجاهه بصفته الإمام بعد أبيه، وقال لهم: «**هذا صاحبكم بعدي وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تُمدّ إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً، خرج فملأها قسطاً وعدلاً**»[1].

غير أنّ أوسع إعلانٍ معروفٍ لدينا قام به الإمام عليه السلام بين أصحابه وخاصّته عن ولادة ولده وتركيز مفهوم إمامتهم ووجوب طاعته في أذهانهم، هو أنّه قبل وفاته بأيّام، وقد كان مجلسه غاصّاً بأربعين من أصحابه ومخلصيه،

(١) أُنظر: الإرشاد: ٣٢٩و ٢٣٠، مكرّراً. [و٢: ٣٤٨، ط. ج] (منه قدّس سرّه). وإكمال الدين: ٤٣١، الباب الثاني والأربعون: ما روي في ميلاد القائم عليه السلام، الحديث ٨، ووسائل الشيعة ١١: ٤٨٩، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب ٣٣، باب تحريم تسمية المهديّ وساير الأئمّة عليهم السلام، الحديث ١٦. وفي إكمال الدين: «**هذا صاحبكم من بعدي، وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتدّ إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً**».

منهم: محمّد بن عثمان العمري[1]، ومعاوية بن حكيم[2]، ومحمّد بن أيّوب بن نوح[3]، أخرج إليهم ابنه عليه السلام، وقال لهم: «**هذا إمامكم بعدي وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم**».

ويضيف - منبّهاً لهم إلى أنَّ هذه هي فرصتهم الوحيدة في رؤية

---

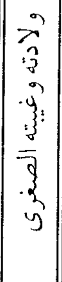
(١) وهو الشيخ الجليل الموثوق محمّد بن عثمان العَمْري، تولّى السفارة بعد أبيه بنصٍّ من الإمام العسكري عليه السلام؛ حيث قال لوفد اليمن: «**واشهدوا عليّ أنّ عثمان بن سعيد وكيلي، وأنّ ابنه محمّد وكيل ابني مهديّكم**»، وبنصّ أبيه على سفارته بأمرٍ من المهدي عجّل الله فرجه، وكانت قواعده الشعبيّة مجتمعةً على عدالته وثقته وأمانته، لا يختلف في ذلك اثنان من الإماميّة. وبقي مضطلعاً بمسؤوليّة السفارة نحواً من خمسين سنة، حتّى لاقى ربَّه الكريم في جمادى الأُولى سنة خمس وثلاثمائة، أو أربع وثلاثمائة. راجع الغيبة (للطوسي): ٣٥٩، وما بعدها، في ذكر طرفٍ من أخبار السفراء، وموسوعة الإمام المهدي عجّل الله فرجه ١: ٣٦٣، في تراجم السفراء الأربعة.

(٢) وهو معاوية بن حكيم بن معاوية بن عمّار الدهنيّ، ثقة جليل في أصحاب الرضا عليه السلام. قال أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله: سمعتُ شيوخنا يقولون: روى معاوية بن حكيم أربعة وعشرين أصلاً لم يرو غيرها. وله كتب، منها: كتاب الطلاق، وكتاب الحيض، وكتاب الفرائض، وكتاب النكاح، وكتاب الحدود، وكتاب الديّات، وله نوادر. أُنظر: رجال النجاشي: ٤١٢، باب الميم، رقم الترجمة: ١٠٩٨.

(٣) وهو أيّوب بن نوح الدهقان، لم يذكروه. نعم، روى الصدوق الرواية أعلاه الوارد فيها اسمه. وبالجملة؛ فإنّه يستفاد من الرواية حُسنه وجلالته وأنّه من أصحاب العسكريّ عليه السلام الخاصّين، وتشرّف بزيارة الحجّة المنتظر عليه السلام. وقد كتب أبوه إلى أبي الحسن عليه السلام: أنَّ لي حملاً فادعُ الله أن يرزقني ابناً، فكتب إليه: إذا ولد فسمّه محمّداً، قال: فولد ابنٌ فسمّيته محمّداً. أُنظر: مستدركات علم رجال الحديث ٦: ٤٧٥، باب الميم، رقم الترجمة: ١٢٧٦٣.

المهديّ عليه السلام - قائلاً: «أمّا أنّكم لا ترونه بعد يومكم هذا»[1].

فهذا وذاك هو الإعلان الرسميّ الكبير الذي قام به الإمام العسكريّ عليه السلام على طرفي المدّة، بعد الميلاد وقبل الوفاة؛ لكي يكون هو الأساس الضخم لإقامة الحجّة تجاه القواعد الشعبيّة الموالية. وكان خلال هذه المدّة يعرضه على أشخاص بمفردهم حين يزورونه؛ يطول الحديث بتعدادهم.



(١) إكمال الدين: ٤٣٥، الباب الثالث والأربعون: مَن شاهد القائم عليه السلام ورآه وكلّمه، الحديث ٢، وبحار الأنوار ٥٢: ٢٦، الحديث ١٩. وفيهما: «من بعدي»، بدل: «بعدي».

الصلاة على أبيه

- ٨ -

تأخّر يا عمّ، فأنا أحقُّ بالصلاة على أبي.

هكذا يقول الإمام المهديّ عليه السلام حين حاول عمّه (جعفر بن علي) أن يصلّي على أخيه المسجّى بين جماعةٍ من أصحابه. فيتأخّر جعفر من دون مناقشة، وقد ارْبَدَّ وجهه[1] وعَلَته صفرة. ويتقدّم الصبيّ عليه السلام ويصلّي على أبيه[2].

إنَّ جعفر قد خسر بذلك كلّ آماله وطموحاته في نيل الإمامة بعد أخيه العسكريّ عليه السلام.

وإذا صلّى جعفر، فقد اكتسب بعض الحقّ، ووضع لبنةً أساسيّةً في مخطّطه، وقد حصل على (سابقةٍ قانونيّة) يمكنه أن ينطلق منها للتغرير بجماهير الموالين، وهو ما لا يمكن أن يحدث مع وجود الإمام المهديّ عليه السلام وقدرته على الأخذ بزمام المبادرة؛ لدفع هذه الشبهة ورفع البدعة، وإنقاذ

---

(١) ارْبَدَّ وجهه، أي: تغيّر إلى الغُبرة، وإذا غضب الإنسان تَرَبَّد وجهه كأنّه يسوّد منه مواضع.

(٢) أُنظر: إكمال الدين:٤٧٣ - ٤٧٥، الباب الثالث والأربعون: مَن شاهد القائم عليه السلام ورآه وكلّمه، الحديث ٢٥، والثاقب في المناقب: ٦٠٧ - ٦٠٨، فصل في بيان ظهور آياته عليه السلام في معانٍ شتى، الحديث ٢، وبحار الأنوار ٥٠: ٣٣٢- ٣٣٣، الحديث ٤.

مواليه من التورّط بغير الحقِّ من حيث لا يعلمون.

إذن، فلابدَّ أن يبادر الإمام المهديّ عليه السلام إلى منع عمّه عن الصلاة على الإمام عليه السلام ويحرمه من هذه السابقة القانونيّة، ويحوزها لنفسه وهو المحقّ بذلك؛ لكونه الإمام بعد أبيه والوريث الشرعي له.

ومن ثَمَّ يشاهد الواقفون صبيّاً يخرج بوجهه سمرةٌ، بشعره قططٌ، بأسنانه تفليجٌ، فيجذب رداء عمّه ويأمره بالتنحّي، ويصلّي على أبيه.

وكان جعفر ليّناً في تأخّره عن الصلاة، بالرغم من اصفرار وجهه أسفاً على فشل مخطّطه وخجلاً من هؤلاء الحاضرين، الذين تقبّل منهم التهنئة بالإمامة، من دون أن ينفيها عن نفسه.

إنَّه على أيّ حال لا يستطيع مكافحة الحقّ الراسخ في ضمير الأُمّة بسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وجهود الإمام العسكريّ عليه السلام؛ فإنَّه سيُفتضح إن فعل ذلك أكثر ممّا هو عليه، وسوف لن يرى إلَّا الاشمئزاز والازورار من القواعد الشعبيّة التي يتوقّع منها التأييد.

وفد القمّيّين

- ٩ -

وبعد فترةٍ من الوقت، يرد وفدٌ من الوفود التي كانت تتواتر على الإمام العسكريّ عليه السلام من أطراف العالم الإسلاميّ، فتصل إليه وتسلّمه ما تحمل إليه من الأموال من مختلف مَن دفعوا الحقوق الإسلاميّة في تلك البلاد، وتسأله ما تشاء من المسائل الشخصيّة والاجتماعيّة، فتنهل منه مختلف التعاليم والتوجيهات.

ويكون هذا الوفد من قم، يدخل سامراء وهو لا يعلم بوفاة الإمام العسكريّ عليه السلام فيسأل عنه الناس، فيقول لهم الناس: إنَّه قد فُقد، قالوا: فمَن وارثه؟ فيشير الناس إلى أخيه (جعفر بن علي)، فيسأل الوفد عنه، فيقال لهم: إنَّه خرج متنزّهاً وركب زورقاً في دجلة يشرب ومعه المغنّون. فيتشاور الوفد فيما بينهم، ويقولون: هذه ليست من صفة الإمام، وقال بعضهم: امضوا بنا حتّى نردّ هذه الأموال على أصحابها. ثُمَّ يقرّرون مقابلته واختباره.

فانتظروا رجوعه من نزهته، ودخلوا عليه وحيّوه وعزّوه وهنّوه. وقالوا له: يا سيّدنا نحن قومٌ من أهل قم، ومعنا جماعةٌ من الشيعة وغيرها، وكنّا نحمل إلى سيّدنا أبي محمّد الحسن بن عليّ الأموال.

- أين هي؟

- معنا.

- احملوها إليّ.

- إلّا أنَّ هٰذه الأموال خبراً طريفاً.

- وما هو؟

- إنَّ هذه الأموال لجمعٍ من الناس، ويكون فيها من عامّة الشيعة الدينار والديناران، ثُمَّ يجعلونها في كيس ويختمون عليه.

وكنّا إذا وردنا بالمال على سيّدنا أبي محمّد عليه السلام يقول: جملة المال كذا وكذا ديناراً، من عند فلان كذا وكذا، ومن عند فلان كذا وكذا، حتّى يأتي على أسماء الناس كلّهم، ويقول ما على الخواتيم من نقش.

أُنظر إلى أُسلوبهم الذي استطاعوا به (اصطياد) جعفر وإفحامه. إنّهم ولا شكّ، لم يكونوا بحاجة لأن يسمعوا كلّ هذه التفاصيل من الإمام العسكريّ عليه السلام في كلّ مرّةٍ يفدون عليه، وإنّما كان هذا هو الأُسلوب الأساسيّ الذي يعرفون به إمامة الإمام الجديد إذا تولّى هذا المنصب العظيم بعد أبيه؛ لأجل أن يتأكّدوا أنَّ الأموال قد دُفعت إلى وليّها الحقيقيّ والإمام الصادق الذي استطاع إقامة الحجّة.

فكان الوفد، يطلب إقامة الحجّة من الإمام الجديد عن هذا الطريق، وعلى هذا الأساس طلبوا من جعفر ذكر التفاصيل، فإن أجاب علموا أنّه الإمام، ودفعوا إليه المال عن طيب خاطر ورضاء ضمير، وإن لم يجب، فهو ليس بإمام وليس له الصلاحيّة لقبض هذه الأموال في الشريعة الإسلاميّة.

ولكنّ جعفراً يحاول أن يجد في كلامهم نقطة للمناقشة ليحاول النفوذ منها، فيقول لهم: كذبتم. تقولون على أخي ما لا يفعله، هذا علم الغيب.

- إنّا قوم مستأجرون، وكلاء لأرباب المال لا نسلّم المال إلّا بالعلامات



التي نعرفها من سيّدنا أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام، فإن كنتَ الإمام فبرهن لنا وإلّا رددنا الأموال على أصحابها يرون فيها رأيهم.

وأحسّ جعفر بالانهيار والضعف مرّةً أُخرى، بعد تنحيته عن الصلاة على أخيه. إنَّ للإمامة مسؤوليّاتٍ لا يستطيع ظهره أن ينوء بها، ولكنّه لا يستطيع أن يتنازل أو يتخاذل. لابدَّ أن يقف صامداً على مخطّطه إلى آخر الخطّ، فإنّه إذا فشل في المحاولة الأُولى بالحصول على المال، فسوف يفشل في المحاولات التالية.

إنَّ أقرب طريقٍ وأقوى ضمان للاستيلاء على هذه الأموال - في نظره- هو التوسّط لدى السلطات؛ لأجل إلزام هؤلاء القوم بدفعها.

ومن هنا يبادر جعفر إلى الذهاب إلى المعتمد الخليفة العبّاسي- وهو يمثّل أعلى سلطةٍ في البلاد- لكي يتملّق له ويشكو هذا الوفد إليه؛ ليساعده في ابتزاز ما عندهم من المال.

وإذ يسمع المعتمد الشكوى يأمر بإحضار الوفد، فيحضرون وتدور بينهم وبينه المحاورة التالية:

قال الخليفة: احملوا هذا المال إلى جعفر.

قال الوفد: أصلح الله أمير المؤمنين، إنّا قوم مستأجرون، وكلاء لأرباب هذه الأموال، وهي وداعة جماعة، وأمرونا أن لا نسلّمها إلّا بعلامةٍ ودلالة، وقد جرت بهذه العادة مع أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام.

قال الخليفة: وما كانت العلامة؟

قال الوفد: كان يصف الدنانير وأصحابها والأموال وكم هي، فإذا فعل ذلك سلّمناها إليه، وقد وفدنا عليه مراراً، وكانت هذه علامتنا معه ودلالتنا،

وقد مات، فإن يكن هذا الرجل صاحب هذا الأمر - يعني الإمامة- فليقم لنا بما كان يقيمه لنا أخوه وإلّا رددناها على أصحابها.

وهنا بدر جعفر قائلاً: يا أمير المؤمنين، إنَّ هؤلاء قومٌ كذّابون على أخي، هذا علم غيب[1].

قال الخليفة: القوم رسل، وما على الرُسل إلّا البلاغ المبين.

فبهت جعفر ولم يرد جواباً، إنَّه يسمع من المعتمد لأوّل مرّة ما لم يكن يتوقّع، إنَّه قول منصف، إلّا أنَّ جعفراً يأسف أن يكون قول المنصف دائماً ضدَّ مخطّطه.

ثُمَّ يطلب القوم من الخليفة أن يأمر لهم شخصاً يدلّهم على الطريق حتّى يخرجوا من البلدة، فأمر لهم بنقيبٍ فأخرجهم منها.

وإذ يصبحون في خارج البلدة، يحدث ما لم يكن بالحسبان، إنَّهم جاؤوا إلى هذه البلدة يحملون الأموال إلى الإمام عليه السلام، ومن غير المنطقيّ أن يرجعوا إلى بلدهم آيسين ويعلنوا عدم وجود الإمام، فتبقى الأُمّة في حيرةٍ وضلال، مع أنَّ الحجّة المهديّ موجودٌ وقادرٌ على الاتّصال بهم وإفهامهم ما هو الحقّ.

إنَّ ذلك لن يكون بادرةً حسنةً في منطق الدعوة الإلهيّة.

إذن، فلابدَّ من الاتّصال بهذا الوفد وإقامة الحجّة عليه وإفهامه وجود إمامه على الطريقة المتّبعة مع سائر الموالين؛ ليكون هذا الوفد لساناً للحقِّ في بلاده ونقطة انطلاق إلى القواعد الشعبيّة الموالية.

يُرسل المهديّ عليه السلام خادمه إلى خارج البلدة، ويأمره أن يتبعهم ويناديهم

---

(١) تبرير علم الغيب (منه قدس سره). هذه التعليقة مثبّتة بجانب العبارة أعلاه؛ والظاهر أنّه قدس سره أراد أن يعلّق على مفاد كلام جعفر في ادّعائه المذكور.

بأسمائهم وأسماء آبائهم، ويلقّنها إيّاه، ويخرج الخادم خارج البلد ويصيح بهم بأسمائهم، قائلاً لهم:

أجيبوا مولاكم.

فقالوا له: أنت مولانا.

فقال الخادم: معاذ الله: أنا عبد مولاكم، فسيروا إليه.

واستصحبهم معه حتّى وصلوا إلى دار الإمام العسكريّ عليه السلام، فدخلوا فوجدوا الإمام المهديّ عليه السلام قاعداً على سرير كأنّه قمرٌ عليه ثيابٌ خضر، فسلّموا عليه، فردّ عليهم السلام.

ثُمَّ قال عليه السلام: «**جملة المال كذا وكذا ديناراً، حمل فلان كذا وحمل فلان كذا**»، ولم يزل يصف، حتّى وصف الجميع، ثُمَّ وصف ثيابهم ورحالهم وما كان معهم من الدوابّ.

فخرّوا سجّداً لله عزّ وجلّ شكراً لما عرّفهم، وقبّلوا الأرض بين يديه، وسألوه عمّا أرادوا، فأجابهم، فحملوا إليه الأموال.

وأمر المهديّ الوفد أن لا يحمل إلى سرّ مَن رأى - سامراء- بعدها شيئاً من المال، وأنّه ينصب لهم ببغداد رجلاً تحمل إليه الأموال وتخرج منه التوقيعات.

ويخرج الوفد ويكون الإمام المهديّ عليه السلام بذلك قد فتح باب التاريخ الجديد، تاريخ الغيبة الصغرى، عهد اتّصاله بقواعده الشعبيّة ومواليه عن طريق الوكلاء والسفراء. وهو تاريخٌ عاشه الناس سبعين عاماً من الدهر[1].

---

(١) راجع إكمال الدين: ٤٧٦ - ٤٧٩، الباب الرابع والأربعون: علّة الغيبة، الحديث ٢٦، والثاقب في المناقب: ٦٠٨ - ٦١١، فصل في بيان ظهور آياته عليه السلام في معانٍ شتّى، الحديث ٣، وبحار الأنوار ٥٢: ٤٧ - ٥٠، الباب الثامن عشر، قصّة وفد قم والجبال، الحديث ٣٤.

مميَزات الغيبة الصغرى

-١٠-

ومن المستطاع القول بأنَّ المميّزات الرئيسيّة لهذه الفترة ثلاثة:

المزيّة الأُولى: كونها مبدأ تولّي الإمام المهديّ عليه السلام للمنصب الإلهيّ الكبير في إمامة المسلمين بعد أبيه الراحل عليه السلام.

طبقاً لما قلناه في تاريخ الغيبة الصغرى[1]: من أنَّ هذه الفترة تبدأ بوفاة الإمام العسكريّ عليه السلام لا بولادة الإمام المهديّ عليه السلام، وإن كان الإمام المهديّ عليه السلام محتجباً عن الناس منذ ولادته.

المزيّة الثانية: عدم الاستتار الكلّي للمهديّ عليه السلام، وإنّما كان يتّصل بعددٍ مهمٍّ من الخاصّة؛ لأجل مصالح كبرى، أهمّها إثبات وجوده من ناحية، والأخذ بزمام القيادة وحلّ المشكلات بين أصحابه.

على حين بدأ الاستتار الكلّي - إلّا فيمَن شاء الله عزّ وجلّ - بانتهاء هذه الفترة، وبدء الغيبة الكبرى.

المزيّة الثالثة: وجود السفراء الأربعة الموكّلين بتبليغ تعاليم الإمام المهديّ عليه السلام إلى الناس من قواعده الشعبيّة بحسب الوكالة الخاصّة المنصوص عليها من قبل المهديّ عليه السلام نفسه أو من قبل آبائه عليهم السلام، فيما ورد عنهم من

---

(١) راجع تاريخ الغيبة الصغرى: ٢٨٩، وما بعدها، القسم الثاني: تاريخ الغيبة الصغرى، تمهيد: في تحديد الغيبة الصغرى.

الأخبار[1].

وقد انتقلت الوكالة الخاصّة خلال هذه الفترة بين أربعة من خيار خلق الله تعالى وخاصّته:

هم عثمان بن سعيد العمري[2].

وابنه محمّد بن عثمان[3].

والحسين بن روح النوبختي[4].

---

(١) راجع ذلك في بحار الأنوار ٥١: ٣٦٦، وما بعدها، الباب السادس عشر: أحوال السفراء الذين كانوا في زمان الغيبة الصغرى.

(٢) هو الشيخ الجليل الموثوق عثمان بن سعيد العمري، أبو عمرو الأسدي، وسُمّي بـ(العمري) نسبةً إلى جدّه. قال قومٌ من الشيعة: إنَّ أبا محمّد الحسن بن علي العسكري عليه السلام قال: «**لا يجمع على امرئ بين عثمان وأبو عمرو**»، وأمر بكسر كنيته، فقيل: العَمْري بفتح العين وسكون الميم. ويُقال له: العسكري أيضاً؛ لأنّه كان من (عسكر) وهي: سرَّ مَن رأى، ويُقال له: السمّان؛ لأنّه كان يتّجر بالسمن تغطيةً على الأمر. وكان الشيعة إذا حملوا إلى أبي محمّد عليه السلام ما يجب عليهم حمله من الأموال أنفذوا إلى أبي عمرو فيجعله في جراب السمن وزقاقه، ويحمله إلى أبي محمّد عليه السلام تقيّةً وخوفاً. له من الأولاد: محمّد وهو السفير الثاني، وأحمد.
ولم يرد في المصادر التاريخيّة تحديد عام ولادته ولا عام وفاته، وإنّما يرد اسمه أوّل ما يرد كوكيلٍ خاصٍّ للإمام الهادي عليه السلام وكان يستوثقه ويمدحه بمثل قوله: «**هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعنّي يقوله، وما أدّاه إليكم فعنّي يؤدّي**». راجع كتاب الغيبة (للطوسي): ٣٥٤، وما بعدها، في ذكر طرف من أخبار السفراء، وموسوعة الإمام المهدي عجّل الله فرجه ١: ٣٣٢، في تراجم السفراء الأربعة.

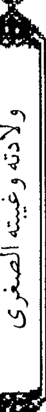
(٣) تقدّمت ترجمته آنفاً.

(٤) وهو الشيخ الجليل الموثوق أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي من بني

وعليّ بن محمّد السمري[1] رضي الله عنهم أجمعين.

نوبخت. وهو كغيره من السفراء لم يُذكر عام ولادته ولا تاريخ مبدأ حياته، وإنّما لَمَعَ نجمه عندما أصبح كوكيلٍ مفضّلٍ لأبي جعفر محمّد بن عثمان العَمْري، ينظر في أملاكه، ويلقي بأسراره لرؤساء الشيعة، على أنّه على جلالة قدره وقربه من السفير الثاني واختصاصه به، لم يكن خير أصحابه، وعندما تولّى مهمّة السفارة كان ذلك عام ٣٠٥، وكان أوّل كتابٍ تلقّاه من الإمام المهدي عليه السلام كتاباً يشتمل على الثناء عليه، فقام بالسفارة خير قيام، وكان من مسلكه الالتزام بالتقيّة المضاعفة بنحوٍ ملفتٍ للنظر، بإظهار الاعتقاد بمذهب أهل السنّة. وبقي مضطلعاً بمهامّه العُظمى حتّى لحق بالرفيق الأعلى عام ٣٢٦. راجع الغيبة (للطوسي): ٣٦٧، في ذكر طرف من أخبار السفراء، وموسوعة الإمام المهدي عليه السلام ١: ٣٣٩، وما بعدها، في تراجم السفراء الأربعة.

(١) وهو الشيخ الجليل الموثوق أبو الحسن علي بن محمّد السمري أو السيمري أو الصيمري، والمشهور جدّاً هو الأوّل (السمري). لم يُذكر عام ميلاده ولا تاريخ فجر حياته، وإنّما ذُكر أوّلاً كواحد من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام ثمَّ ذُكر قائماً بمهامّ السفارة المهدويّة ببغداد بعد الشيخ بن روح بإيعازٍ منه عن الإمام المهدي عليه السلام. تولّى السفارة من حيث وفاة أبي القاسم بن روح عام ٣٢٦، إلى أن لحق بالرفيق الأعلى عام ٣٢٩ في النصف من شعبان، فتكون مدّة سفارته عن الإمام المهدي عليه السلام ثلاثة أعوام كاملة إلّا أيّام. ولم ينفتح للسمري خلال هذا الزمان القصير بالنسبة إلى أسلافه القيام بفعاليّات موسّعة كالتي قاموا بها، ولم يستطع أن يكتسب ذلك العُمق والرسوخ في القواعد الشعبيّة كالذي اكتسبوه، وإن كان الاعتقاد بجلالته ووثاقته كالاعتقاد بهم (رضوان الله عليهم). راجع الغيبة (للطوسي): ٣٦٧، وما بعدها، في ذكر طرف من أخبار السفراء، وموسوعة الإمام المهدي عليه السلام ١: ٣٤٤، وما بعدها، في تراجم السفراء الأربعة.



وانتقلت الخلافة في الجهاز الحاكم يومئذٍ بين ستّة من خلفاء بني العبّاس، أوّلهم المعتمد، الذي عاصر وفاة الإمام العسكريّ عليه السلام ومبدأ الغيبة الصغرى، حتّى عام ٢٧٩ حيث آلت الخلافة إلى المعتضد إلى عام ٢٨٩، فاستخلف المكتفي إلى عام ٢٩٥، وبعده المقتدر إلى عام ٣٢٠، ثُمَّ القاهر حتّى سنة ٣٢٢، ثُمَّ الراضي حتّى عام ٣٢٩، وهو عام وفاة السمري النائب الرابع عليه الرحمة، ونهاية عهد الغيبة الصغرى[1].

(١) راجع ذلك في تاريخ الخلفاء (للسيوطيّ): ٣٩٢- ٤٢١، في ذكر خلفاء بني العبّاس.

الاتجاهات العامّة للسفراء

- ١١ -

وكانت أعمال السفراء واتّجاهاتهم العامّة في حياتهم الاجتماعيّة الإسلاميّة، تتلخّص في عدّة نقاط.

النقطة الأُولى: الاضطلاع بقيادة قواعدهم الشعبيّة الموالية للإمام المهديّ عليه السلام من الناحية الفكريّة والسلوكيّة، طبقاً للأوامر والتعاليم التي يتلقّونها منه عليه السلام.

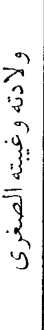
فكانوا يقبضون الأموال عنه عليه السلام ممّا يحمله الناس من حقوقٍ إسلاميّةٍ وغيرها، ويجيبون على مختلف الأسئلة في مختلف ميادين المعرفة، وخاصّة الفقه والعقائد والتفسير ونحوها؛ إمّا بأنفسهم أو بما يحملونه إلى الناس من المهديّ عليه السلام من رسائل وتوقيعاتٍ - كما هو الأغلب- وكان الخطّ في توقيعات الإمام عليه السلام مضبوطاً معروفاً لا يختلف باختلاف أشخاص السفراء.

كما كانوا يقومون بتوزيع الأموال في مصارفها الخاصّة من فقراء ومحتاجين وغيرهم.

وهذه النشاطات في التاريخ أوضح من أن تُذكر، وقد كرّسنا لسردها قسماً من كتابنا: تاريخ الغيبة الصغرى[1]. ولا حاجة الآن إلى إطالة الكلام عنها.

---

(١) راجع تاريخ الغيبة الصغرى: ٣٢١، القسم الثاني: تاريخ الغيبة الصغرى، الفصل الأوّل، الاتّجاه العامّ للسفراء.



النقطة الثانية: الإخلاص في السفارة عن المهديّ عليه السلام وفي خدمة قواعدهم الشعبيّة المفتقرة إلى قيادتهم وسفارتهم كلّ الافتقار، والتضحية في سبيل ذلك بالغالي والنفيس.

والسفارة عموماً لم تكن تُوكَل إلّا إلى أشخاصٍ يتّصفون بدرجةٍ من الإخلاص عظيمةٍ، بحيث يكون من المستحيل عادةً أن يشوا بالإمام المهديّ عليه السلام أو أن يخبروا بما يكون خطر عليه، ولو مُزّق لحمهم ودُقّ عظمهم.

ولا يتوخّى، بعد ذلك أن يكون السفير هو الأعمق فقهاً أو الأوسع ثقافةً، وإن كان هو على درجةٍ عالية في ذلك؛ فإنَّ السفارة عن الإمام عليه السلام لا تعني إلّا التوسّط بينه وبين الآخرين، ولا دخل للأفضليّة الثقافيّة فيه، ومن هنا قد تسند الوكالة الخاصّة إلى المفضول من هذه الجهة، توخّياً لوجود تلك الدرجة العليا من الإخلاص.

وهذا هو الذي ذُكر في بعض الروايات، حيث اعترضوا على أبي سهل النوبختي، فقيل له: كيف صار هذا الأمر - أي: السفارة - إلى الشيخ ابن روح دونك! فقال: هم أعلم وما اختاروه.

ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم، ولو علمتُ بمكانه كما علم أبو القاسم (يعني الحسين بن روح) وضغطتني الحجّة، لعلّي كنتُ أدلّ على مكانه. وأبو القاسم، فلو كان الحجّة تحت ذيله وقُرض بالمقاريض، ما كشف الذيل عنه[1].

---

(١) أُنظر: غيبة الشيخ الطوسي: ٢٤٠ [و٣٩١، صورة بعض توقيعات الحجّة، الحديث ٣٥٨، ط. ج]، والبحار ٣: ٩٨، [٥١: ٣٥٤- ٣٥٩، أحوال السفراء، الحديث ٦، ط. ج] (منه قدس سره).

النقطة الثالثة: أن لا يكون عملهم ملفتاً للنظر، وأن تكون حياتهم وتجاراتهم طبيعيّةً جدّاً غير مثيرةٍ لأيّ تساؤلٍ أمام الدولة وعملائها وقواعدها الشعبيّة.

فعثمان بن سعيد العمري السفير الأوّل، كان يوصل الأموال إلى الإمام العسكريّ عليه السلام في جراب الدهن الذي كان يتاجر به[1]. فإذا علمنا أنَّ الخطّ الأساسيّ الذي كانت تسير عليه الدولة لم يتغيّر بعد وفاة الإمام العسكريّ عليه السلام، نعلم من ذلك استمرار «العمريّ» على أمثال هذا الأُسلوب عند سفارته عن المهديّ عليه السلام بعد وفاة أبيه وابتداء الغيبة الصغرى.

كما أنّنا نسمع من التاريخ أنَّ الحسين بن روح السفير الثالث، لم يكن له خدمٌ ولم يكن حوله جماعةٌ، على حين كان لمدّعي السفارة زوراً خدمٌ وجماعةٌ[2]. إلى غير ذلك من الأمثلة والشواهد.

النقطة الرابعة: التزامهم بمسلك التقيّة - مهما أحوجهم الأمر إلى ذلك- يجعلونه طريقاً لتهدئة الخواطر عليهم وإبعاد النظر عنهم؛ لكي تنفسح لهم فرصةٌ أوسع ومجالٌ أكبر للعمل، ممّا إذا كانوا مراقبين ومطاردين بشكلٍ مستمرٍّ وأكيد.

فمن ذلك: أنَّ أبا القاسم الحسين بن روح عليه الرحمة، كان يحضر مجالس العامّة غير الموالين للأئمّة عليهم السلام، فصادف في بعض المجالس أن تناظر اثنان، فادّعى أحدهما: أنَّ أبا بكر أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ثُمَّ عمر



(١) غيبة الشيخ: ٢١٤، [و٣٥٣- ٣٥٤، الحديث ٣١٤] (منه قدس سره). وراجع أيضاً بحار الأنوار ٥١: ٣٥٤- ٣٥٩، الباب السادس عشر: أحوال السفراء، الحديث ٦.

(٢) المصدر السابق: ٢٣٧ (منه قدس سره). وراجع أيضاً المصادر السابقة.

ثُمَّ عليّ عليه السلام. وقال الآخر: بل عليّ عليه السلام أفضل من عمر، فزاد الكلام بينهما.

فقال أبو القاسم رضي الله عنه: الذي اجتمعت العصابة عليه، هو تقديم الصدّيق ثُمَّ بعده الفاروق، ثُمَّ بعده عثمان ذو النورين، ثُمَّ الوصيّ، وأصحاب الحديث على ذلك، وهو الصحيح عندنا.

فبقي مَن حضر المجلس متعجّباً من هذا القول، وكاد العامّة الحضور يرفعونه على رؤوسهم، وكثر الدعاء له والطعن عل مَن يرميه بالرفض!![1].

هذا وهو قائد الرافضة وسفير إمامهم.

وعلى أيّ حال، فمن المحرَز المتيقّن أنَّ هذا الاتّجاه الذي كان يسير عليه السفراء، قد استقوا خطوطه العامّة من المهديّ عليه السلام، بحسب ما يرى من المصالح في ذلك الحين والظروف التي كانت تعيشها قواعده الشعبيّة تجاه الدولة والآخرين.

وكان كلّ سفير منهم يطبّقه بمقدار ظروفه وشكل تطوّر الحوادث في زمنه.

ومن المعلوم أنَّه كلّما كان الموقف أدقّ والنشاط المفتقر إليه في قيادة القواعد الشعبيّة الموسّعة أكبر، والمصالح المتوخّاة تطبيقها فيهم أعظم، كانت الحاجّة إلى صرف نظر الدولة ومَن يسير على خطّها عن هذا النشاط وتلك المصالح أشدّ وأكثر.

وقد استطاع السفراء كما قد استطاع الأئمّة عليهم السلام قبلهم أن ينالوا بمسلك التقيّة والحذر، من المصالح العامّة في قيادة قواعدهم الشعبيّة وهدايتها والمحافظة عليها، أضعاف ما كان في الإمكان أن ينالوه من الحركات الانتحاريّة العشوائيّة والتمرّدات الصغيرة، لو كان فيها شيءٌ من الخير.

---

(١) المصدر السابق: ٢٣٧ (منه قدس سره). وراجع أيضاً المصادر السابقة.

نهاية عهد السفارة

- ١٢ -

وتنتهي الغيبة الصغرى بوفاة السفير الرابع عليّ بن محمّد السمريّ رضي الله عنه، الذي انقطعت بوفاته السفارة المهدويّة عن الناس.

وقد أخرج السمريّ قبل وفاته بأيّام بياناً من الإمام المهديّ عليه السلام يعلن فيه انتهاء الغيبة الصغرى وعهد السفارة بموت السمريّ، ويمنعه عن أن يُوصي بعد موته إلى أحدٍ ليكون سفيراً بعده، كما كان عليه الحال بالنسبة إلى السفراء السابقين عليه.

يقول عليه السلام في بيانه: «**بسم الله الرحمن الرحيم: يا عليّ بن محمّد السمريّ، أعظم الله أجر إخوانك فيك؛ فإنّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيّام، فاجمع أمرك ولا توصِ إلى أحدٍ فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامّة، فلا ظهور إلّا بإذن الله تعالى ذكره؛ وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً.**

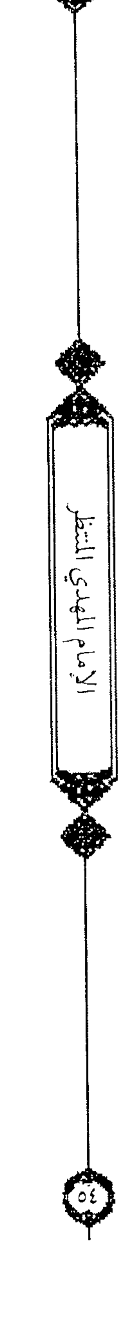
وسيأتي لشيعتي مَن يدّعي المشاهدة، ألا فمَن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة، فهو كذّابٌ مفترٍ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم»[1].

فكان هذا آخر خطابٍ خرج من الإمام المهديّ عليه السلام عن طريق السفارة الخاصّة، وآخر ارتباطٍ مباشرٍ بينه وبين الناس في الغيبة الصغرى.

---

(١) الغيبة (للطوسيّ): ٢٥٥، [و٣٥٩، الحديث ٣٦٥، ط. ج] (منه قدس سره). وراجع أيضاً إكمال الدين: ٥١٦، الباب الخامس والأربعون: ذكر التوقيعات، الحديث ٤٤.

وكان من المفهوم عموماً عند القواعد الشعبيّة الموالية للإمام وسـفرائه، أنَّ كلّ مَن ادّعى السفارة بعد السمريّ، فهو كافرٌ ضالٌّ مضلٌّ.



الفصل الثاني

التخطيط الإلهيّ لليوم الموعود

مفهوم العبادة الكاملة

-١-

إنَّ الله تعالى خلق الخلق متفضّلاً ولم يخلقهم عبثاً ولم يتركهم هملاً، بل خلقهم وهو غنيٌّ عنهم، لأجل مصالحهم والوصول بهم إلى كمالهم المتمثّل بإخلاص العبادة لله عزّ وجلّ، قال عزّ من قائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1]. وقصر العقيدة والسلوك على ما تقتضيه هذه العبادة المقدّسة.

إذن، فالغرض من الخليقة هو هذا الكمال العظيم، وإذا نظرنا إلى حقيقة هذا الكمال من جوانبه المتعدّدة واستطعنا تصوّره فكرةٍ موحّدة الجوانب، مندمجة التركيب عن هذا الكمال، عرفنا الهدف الإلهيّ المقصود من الخليقة.

الجانب الأوّل: تصوّر المفهوم المتكامل عن هذا الكمال المنشود، من حيث إن قصرَ الإنسان نفسَه على التربية بيد الحكمة الإلهيّة الكبرى وتحت إشرافها وتدبيرها، ماذا يحدث في النفس من الأثر العادل، وكيف يعتبر ذلك هو محض الحريّة والانطلاق المساوق مع انطلاقة الكون الكبرى تجاه الله عزّ وجلّ، والمقترن بالتخلّص عن سائر أنحاء الشرك الناتج من إطاعة الشهوات والعادات والمصالح الشخصيّة والأوثان البشريّة والمنحوتة، وكلّ شيءٍ لا يمتّ إلى الله بصلة.

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

الجانب الثاني: نوع السلوك العادل والضمير الطاهر الذي ينتج على أثر الالتزام بهذا الكمال، ذلك السلوك الذي لا يمكن أن يدّعيه أيّ منحرفٍ، ولا أن تنتجه أيّ دعوةٍ أرضيّة لا تنتسب إلى السماء بسبب.

وأمّا البرهنة على حصول هذا السلوك في الفرد، فهو ممّا يخرج بنا عن مقصود الاختصار، وحسبنا أنَّ هذا ممّا يجب أن يعترف به معتنقٌ لدينٍ سماويٍّ نتيجةً للعقيدة، بل كلّ البشر، نتيجةً للتجربة المتمثّلة في أُناس تاريخيّين مطبّقين لذلك المنهج الكامل.

الجانب الثالث: أنَّ هذا الكمال غير خاصٍّ بفردٍ دون فردٍ، ولا بمجتمعٍ دون مجتمعٍ، بل هو يعمّ البشر أجمعين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، إذن، فالمكلّف بالعبادة بهذا المعنى الكامل هو كلّ الإنس أو الإنسانيّة.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2]. إذن، فالناس كلّهم هم المكلّفون بذلك.

وهذا يعني: أنَّ الغرض الأساسيّ للخليقة هو تكوين مجتمعٍ بشريٍّ كاملٍ يدين كلّ أفراده بإخلاص العبادة لله عزّ وجلّ، ويتّصفون بأفضل أنحاء السلوك العادل والضمير الطاهر.

---

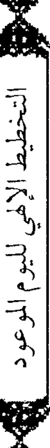
(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

-٢-

إنَّ الغرض الإلهي من خلق البشريّة ما دام هو ذلك، إذن فلابدَّ أن يشاء الله تعالى إيجاد كلّ ما يحقّق غرضه، ويريد دفع كلّ ما يمنع عنه، ولو استلزم ذلك خرق قوانين الطبيعة وإيجاد المعجزات؛ فإنَّ كلّ ما لقوانين الطبيعة من قوّةٍ وصرامة، هي كونها منتسبةً إلى القوّة الأزليّة، فإذا شاء الله تعالى لها التخلّف والانخرام في بعض الأحيان، أو في كثير من الأحيان كانت تلك القوانين قاصرةً عن العصيان وعن التأثير في مورد حصول المعجزة.

وهذا هو الذي يلقي الضوء على الفكرة الأساسيّة التي يقوم عليها (قانون المعجزات) الذي أسّسناه في رسالتنا عن المعجزة في المفهوم الإسلاميّ[1].



(١) ذكرقُدِّسَ سِرُّه هناك: ... والذي ينبغي أن نعرفه في هذا السبيل، هو أنّه ليست جميع القوانين الكونيّة المادّية صلبةً ومحدّدةً وجامدةً، كما يريد أن يتصوّرها المادّيون، أو أنّها غير قابلة لأيّ تغييرٍ أو تبديلٍ، مهما كانت القوّة الفاعلة شديدة التأثير.

فإنّنا يمكن بهذا الصدد أن نُقسّم القوانين الكونيّة إلى قسمين:

القسم الأوّل: ما يكون قانوناً عقليّاً صلباً يستحيل التصرّف فيه من ناحية حكم العقل بالبداهة بضرورة تطبيقه، وذلك كقانون العلّية، فلا يمكن جعل المعلول متخلّفاً عن علّته أو متقدّماً عليها، وكقانون التناقض، فلا يمكن جعل النقيضين (الوجود والعدم) يجتمعان معاً أو يرتفعان معاً، وكالقوانين الرياضيّة البديهيّة، كقولك الاثنان

نصف الأربعة، أو الأربعة زوج، وهكذا. وكالأُمور الذاتيّة للأشياء، والتي أُخذت في نفس مفهومها وذاتها والتي لا يمكن أن تتغيّر إلّا بانقلاب الذات إلى ذاتٍ أُخرى، وهو خلف المفروض، وذلك كالإنسانيّة بالنسبة إلى الإنسان والزوجيّة بالنسبة إلى الأربعة.

والمعجزة في نشاطها تسير ضمن هذا القسم من القوانين ويستحيل أن تخرج عليها أو أن تكون استثناءً لمقتضياتها العامّة الشاملة؛ فإنّها قوانين عقليّة، والقوانين العقليّة غير قابلةٍ للاستثناء والتخصيص، كما ثبت في الفلسفة.

القسم الثاني: قوانين نافذة المفعول في الكون، أو بالأحرى (وقائع) كونيّةٍ معيّنةٍ، تستمدّ أصالتها من كونها قد وقعت في الخارج على هذا الشكل وكانت نافذة المفعول بهذا الترتيب، ولا تستند في فعاليّاتها على أيّ أساسٍ عقليٍّ لا يقبل الاستثناء. وذلك كقانون الجاذبيّة ومقدار سرعة الضوء والصوت، ومقدار بُعد الشمس عن الأرض، ومقدار كثافة الماء أو الهواء ... وغير ذلك من القوانين والوقائع الطبيعيّة.

وموقف العالم الطبيعي من هذه القوانين، هو أن يطّلع على وجودها، وأن يعرف بالضبط مدى تأثيرها وحدود فعاليّاتها وشروط نشاطها.

أمّا أنّه لماذا وجدت هذه القوانين بهذا الشكل، ولماذا أصبحت تعمل بهذه الشروط وضمن هذه الحدود؟ فذلك سؤال لا يستطيع العالم الطبيعيّ أن يسأله.

وحتّى لو أمكنه السؤال، فإنّه لن يجد جواباً مسعفاً دقيقاً من أحد، لا من علومه الطبيعيّة ولا من العلوم الاجتماعيّة ولا حتّى من الفلسفة. نعم، غاية ما للفلسفة أن تقوله هو أنّ الله تعالى قد خلقها هكذا، لما يعلمه في حكمته الأزليّة اللانهائيّة من أنّ هذا الشكل من القوانين هو أحسن طريقةٍ لضمان نظام الكون وحسن ترتيبه، أمّا إذا كان العالم الطبيعي ملحداً، فليسكت وليسلّم أمره إلى الشيطان!

ومثل هذه القوانين كما قلنا إنّها تستمدّ أصالتها باعتبار كونها وقعت في الكون على هذا الشكل، وإلّا فإنّها لا تقوم على أيّ أساسٍ عقليٍّ يجعلها صلبةً جامدةً وغير قابلةٍ للتحوير أو التغيير.

ومن هنا أنتجت إرادة الله تعالى للمعجزات ثلاث نتائج مهمّةٍ، كلّها أسبابٌ لهداية البشريّة:

النتيجة الأُولى: إرسال الأنبياء عن طريق الوحي والإلهام ونحو ذلك، من خوارق الطبيعة بحسب العادة.

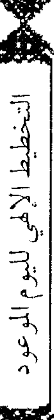
النتيجة الثانية: إقدار كلّ نبيٍّ على إيجاد معجزةٍ أو أكثر ممّا تتمّ به حجّته على البشر، وتدلّ دلالةً قطعيّةً على صدق دعواه (النبوّة) أو (الرسالة) عن الله عزّ وجلّ.

نعم، يمكن أن يُقال: إنَّ المعجزة إذا أوجبت إلغاء القانون بالكلّيّة، كان ذلك محالاً عقلاً؛ لأنَّه موجبٌ لخراب الكون وتبعثر أجزائه، وذلك لمدى ترابط القوانين الكونيّة فيما بينها، وممارسة نشاطها باعتبارها وحدةً متكاملةً، فإذا حدثت ثغرةٌ في هذا البناء العظيم، فإنَّه لا شكّ يؤول إلى الخراب والانهدام.

وهذا خلاف الحكمة الإلهيّة الأزليّة التي اقتضت وجود تلك الوحدة المتكاملة من القوانين، ومخالفة الحكيم لمقتضى حكمته محالٌ في حكم العقل.

ولكنّ الموارد الجزئيّة والاستثناءات المؤقّتة، التي قد تحدث في مثل هذه القوانين، في أماكن مختلفة وأزمنة متباعدة، لا توجب أيّ محذورٍ على الإطلاق، كما إذا أوجبت المعجزة في وقتٍ مّا غليان الماء على درجة ٧٠ مئويّة، أو أوجبت انعدام الجاذبيّة أو تخفيفها في بقعةٍ محدودةٍ من الأرض، أو أوجبت انخفاض سرعة الضوء أو ازديادها في زمانٍ معيّن، أو أوجبت انشقاق القمر أو تسبيح الحصا في ساعةٍ من الدهر.

فإنَّ كلّ ذلك وإن كان خلاف القوانين الكونية النافذة المفعول، إلَّا أنَّها استثناءاتٌ مؤقّتةٌ تحدث بفعل قوّةٍ عليا، هي نفس تلك القوّة التي خلقت الكون، وسنّت ذلك القانون فيه، وليس في ذلك أيّ محذورٍ عقليٍّ أو كونيٍّ كما هو واضح... . أُنظر: رسائل ومقالات ١: ١٤٩-١٥٢، بحث حول المعجزات في الإسلام.



النتيجة الثالثة: تأسيس الثواب للمطيعين والعقاب للعاصين، بالرغم ممّا في تأسيسهما من خرقٍ لما هو المعهود من نواميس طبيعيّة.

وإنَّما أنتجت المعجزات هذه الآثار باعتبار أنَّ الغرض الإلهيّ الكبير متوقّفٌ عليها، كما سنوضّح فيما يلي.

عوامل التربية

-٣-

إنَّ تكامل الفرد، ومن ثَمَّ تكامل المجتمع البشريّ، يتوقّف - بعد إعطائه العقل والاختيار- على عاملين: خارجيٍّ وداخليّ، أو موضوعيٍّ وذاتيّ.

فالعامل الخارجي الموضوعيّ، هو إفهامه معنى العدل والكمال الذي ينبغي أن يقصر نفسه عليه ويتّخذه منهجاً حياتيّاً، وهذا الإفهام لا يمكن صدوره إلّا عن الله عزّ وجلّ، بعد البرهنة على عدم توصّل البشريّة إلى كمالها معزولةً عن الله عزّ وجلّ، كما تَمَّ البرهان عليه في بحوث العقائد الإسلاميّة[١]، ومن ثَمَّ لا يمكن أن يتحقّق الغرض الإلهيّ المهمّ إذا أُوكلت البشريّة إلى نفسها أو أُلقي حبلها على غاربها.

إذن، فلابدَّ من إفهامها معنى العدل والكمال وتفاصيل السلوك الصالح الذي يجب اتّخاذه.

وحيث إنَّ هذا يستحيل أن يكون بالمباشرة والمواجهة بين الله تعالى وخلقه، كما بُرهن عليه في محلّه[٢]، احتاجت البشريّة إلى أن يرسل الله تعالى إليها أنبياء مبشّرين ومنذرين، ويكون إرسالهم وإثبات صدق دعواهم طبقاً

---

(١) راجع على سبيل المثال عقائد الإماميّة (للمظفر): ٤٨، عقيدتنا في النبوّة.

(٢) راجع المصدر السابق.

لقانون المعجزات.

ومن هنا نستطيع أن نلاحظ كيف أنَّ خطّ الأنبياء الطويل والأعداد الكبيرة منهم، إنَّما وجدوا باعتبار التمهيد للغرض الإلهيّ الكبير، بتقديم الأُطروحة العادلة الكاملة إلى البشريّة.



وإنَّما تعدّدت النبوّات باعتبار قصور البشريّة في أوّل أمرها عن تلقّي وفهم الأُطروحة الكاملة، فكان لابدَّ أن تمرّ بمراحل من التربية والتكامل، حتّى يتمّ لها هذا العامل الخارجي الأساسيّ، وهو إفهامها العدل المحض والأُطروحة التامّة التي يريد الله تطبيقها على الأرض.

وأمّا العامل الداخليّ الذاتيّ، فهو الشعور بالمسؤوليّة تجاه الأُطروحة الكاملة؛ باعتبار أنَّها إنَّما تضمن العدل فيما إذا أطاعها الأفراد وطبّقت في حياتهم، وإنَّما تضمن الطاعة التامّة مع الشعور بالمسؤوليّة، وإنَّما يتمّ الشعور بالمسؤوليّة نتيجةً لأسباب ثلاثة مقترنة:



الأوّل: إدراك العقل لأهمّيّة طاعة الله والخضوع له والانصياع إلى أوامره؛ باعتباره مستحقّاً للعبادة مع غضّ النظر عن أيّ اعتبارٍ آخر.

الثاني: الشعور بأهمّيّة طاعة الله تعالى؛ باعتبارها الضامن الحقيقيّ للعدل المطلق على أساسٍ فرديٍّ واجتماعيّ، أو بتعبيرٍ آخر: تربية الإخلاص الذاتيّ لطاعة الله؛ باعتبار المعرفة الواضحة بضمانها للعدل المطلق.

الثالث: العامل الأُخرويّ المتمثّل بالطمع بالثواب والخوف من العقاب.



والفرق بين هذه الأسباب، هو أنَّ الأوّل والأخير يوجدان بالتربية النظريّة فحسب، ويتحقّقان بمجرّد إلفات الفرد إليهما والبرهنة له عليهما.

وأمّا السبب الثاني، فالبرهنة النظريّة عليه وإن كانت متوفّرةً، إلّا أنَّ التربية عليه بالشكل الذي ينتج الإخلاص والوعي يحتاج إلى تمرينٍ طويل الأمد وتجربةٍ وممارسةٍ.

ومن هنا تنبثق أهمّيّة التجربة والممارسة في تربية الإخلاص بشكلٍ خاصٍّ، والتكامل العادل بشكلٍ عامٍّ.

أهمية تربية المجتمع

- ٤ -

إنَّ التجربة والممارسة التي عرفنا أهمّيّتها في تربية الإخلاص والاندفاع إلى الطاعة، إذا لاحظناها على أساسٍ فرديٍّ، لم تكتسب أهمّيّةً أكثر من إنتاج الإخلاص والتكامل لفردٍ واحدٍ.

وأمّا إذا لاحظناها على أساسٍ عامٍّ، وقلنا بأنَّ المجتمع بصفته مكوّناً من أفراد، والأُمّة بصفتها مكوّنةً من مجتمعات، يجب أن تمرّ بدور التربية؛ لكي تنمّي روح الإخلاص للطاعة تجاه تعاليم الله عزّ وجلّ.

إذن تكتسب هذه التربية وهذه التجربة التي يجب أن تمرّ بها الأُمّة، أهمّيّةً كبرى؛ لأنّها تكون بذلك مقدّمةً حقيقيّةً للغرض الإلهيّ الكبير في كمال البشريّة وتطبيق العدل المطلق فيها.

فإذا عرفنا أنَّ الله عزّ وجلّ يفعل كلّ شيءٍ يحقّق هذا الغرض. إذن، فهو - بكلِّ تأكيد- يأخذ تربية البشريّة بنظر الاعتبار توصّلاً إلى هدفه الكبير.

وقد يخطر في الذهن: أنَّ هذا الغرض إذا كان مهمّاً لدى الباري عزّ وجلّ إلى هذا الحدّ، بحيث يقيم المعجزات في سبيل التمهيد إليه، فلماذا لا يوجده دفعةً واحدةً بالمعجزة؟

فنقول في جواب ذلك: إنَّ هذا السؤال يحتوي على جهلٍ بماهيّة الهدف الإلهيّ وحقيقته، وجهلٍ بطرق التوصّل إليه؛ فإنَّ الهدف ليس هو التوصّل إلى

العدل المطلق كيف كان، بل هو التوصّل إلى العدل المطلق الناتج عن اختيارٍ ورضا وتضحياتِ مَن يطبّق عليهم هذا العدل.

وبعبارةٍ أُخرى: إنَّ العدل المطلق الإعجازيّ، عدلٌ شكليّ، وليس جوهريّاً ناشئاً عن ضميرٍ حيٍّ وقلبٍ طاهرٍ وإيمانٍ عميقٍ، فلا يكون عدلاً مطلقاً أساساً، بخلاف العدل الناتج عن تجربةٍ وتربية، كما هو واضح.

وأمّا طريق التوصّل إليه، فهو - طبقاً لما تمّ عليه البرهان الصحيح من بطلان الجبر الفلسفيّ- يجب أن يكون مساوقاً مع حفظ اختيار الأفراد وحريّتهم في الإرادة، وليست المعجزات التي تقام في تمهيد هذا الهدف إلّا مقدّماتٍ للإقناع الاختياريّ.

وأمّا إذا لزم من المعجزة الجبر على الفعل، أصبحت مستحيلة التحقّق عقلاً.

فإذا أوكلنا الأمر إلى القناعة الذاتيّة والاختيار الحرّ، كان الإنسان محتاجاً إلى التربية، حتّى يختار عن حسن نيّةٍ واندفاعٍ حقيقيٍّ كماله المطلق وعدله الصحيح.

عوامل التجربة والممارسة للأمّة

- ٥ -

تتوقّف التجربة والممارسة التي يجب أن تمرّ بها الأُمّة في تربيتها الطويلة على أحد عاملين، يجب أن نعرفهما ونرى مقدار تأثير كلّ منهما في هذه التجربة المهمّة:

العامل الأوّل: التطبيق الحيّ الفعليّ للمجتمع المطلق، حتّى يراه الناس ويحبّوه ويقدّموه على مصالحهم الخاصّة؛ فإنّ شعور الناس بوجود العدل المطلق مطبّقاً على وجه الأرض، يكفي بمجرّده في صهر عواطف وإخلاص الناس إليه وتوجيههم نحوه.

العامل الثاني: مرور الأُمّة خلال تربيتها بعوامل صعبةٍ وظروفٍ ظالمةٍ عسيرةٍ، تجعلها تتوفّر شيئاً فشيئاً على السبب الثاني السابق من أسباب الشعور بالمسؤوليّة، وتجعلها في نهاية المطاف بالمسؤوليّة قويّة الإرادة والعزم على تطبيق الأُطروحة العادلة الكاملة.

وذلك: بعد أن تعيش الأُمّة شعورين مقترنين:

أحدهما: الشعور بأفضليّة الأُطروحة الإلهيّة العادلة - لا بشكلٍ نظريٍّ فحسب- بل بشكلٍ حسيٍّ مباشر، بعد أن يكون قد تمّت للأُمّة المقارنة بينها وبين سائر النظم والقوانين، وثبت بالتجربة فشل سائر النظم وأدائها إلى أنواعٍ مختلفةٍ من الظلم والتعسّف دونها.

ثانيهما: الشعور بأهمّيّة التضحية الفعليّة على مختلف المستويات، في سبيل الأُطروحة الإلهيّة التي يؤمنون بها، ولو نظريّاً، والإحساس المباشر بلزوم الصبر والمثابرة والصمود أمام القوى الظالمة تمسّكاً بالحقّ.

إذن، فهناك عاملان، لا ينبغي أن يُنكر تأثير كلٍّ منهما في إيجاد الإخلاص للأُطروحة العادلة الكاملة. لكنّنا نجد- إذا قارنّا بينهما- أنَّ العامل الثاني أهمّ وأشدّ تأثيراً؛ لجهتين أساسيّتين:

أوّلاً: أنَّ الإخلاص الناتج عن مشاهدة التطبيق الحيّ للعدل المطلق، هو من قبيل إخلاص (ما بعد الفتح) على ما يعبّرون، أو إخلاص ذلك الإنسان الخامل الذي يأكل من الطعام الحاضر، ولم يتعب في سبيل إيجاد الطعام.

إنَّ محبّة هذه الأُطروحة عند تطبيقها، أمرٌ موافقٌ للهوى والمصالح الشخصيّة؛ لأنَّها تضمن للإنسان سعادته ورفاهه الفرديّ والاجتماعيّ. وأمّا محبّة الأُطروحة طبقاً للعامل الثاني- أي: في ظروف الظلم والتضحية- فهي محبّةٌ واعيةٌ عميقةٌ، تدفع الإنسان إلى المكافحة في سبيل إيجاد الواقع الاجتماعيّ العادل.

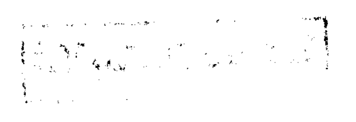
ثانياً: نعرف من ذلك أنَّ العامل الثاني يجب أن يكون متقدّماً زماناً على العامل الأوّل؛ باعتبار توقّف التطبيق الحقيقيّ عليه؛ فإنَّ العدل لا يكون حقيقيّاً وأساسيّاً ومطلقاً في المجتمع، ما لم يكن كلّ الأفراد أو جلّهم - على أقلّ تقدير- ممَّن شحذت إخلاصه التجارب والتضحيات، فإنَّهم يكونون أقدر على العمل وأسرع إنتاجاً وأكثر تحمّلاً للصعوبات، ممّا يجعل العدل المطبّق على أيديهم أعمق وأضمن للبقاء والاستمرار، ولا يكون ذلك متحقّقاً

لو كان الأكثر مخلِصين بإخلاص (ما بعد الفتح).

إذن، فـالغرض الإلهـيّ المهـمّ في هدايـة البـشريّة عامّـة، يتوقّـف عـلى الإخلاص المنصقل بالتجارب والتضحيات.

ومن المعلوم أنَّ هذا الإخلاص لا يمكن إلَّا بالمرور في تيّـار التجـارب والتضحيات نفسه، وهذا التيّار ليس إلَّا الظروف الـصعبة والأزمنـة المظلمـة التي تمرّ بها البشر خلال الأجيال والعصور.

يتبرهن من كلِّ ما مضى بكلِّ وضوح: توقّـف هدايـة البـشريّة عامّـةً - الذي هو الهدف لإيجاد البشر وأصل خلقتهم- على المـرور في ظـروفٍ صـعبة ظالمةٍ، حتّى تُشحذ هممهم وينصقل إخلاصهم ووعيهم، ويستطيعون بجدارةٍ تحمّل مسؤوليّة ذلك الهدف الكبير.



التمحيص في الظروف الظالمة

ـ ٦ ـ

من هذا المنطلق بالذات نعرف أهمّيّة التمحيص والاختبار الذي دلّت عليه الأخبار، التي سنسمع بعضها، وارتباطه الأساسيّ بالتقديم للهدف الإلهيّ الكبير.

فإنَّ ما تعيشه البشريّة من ظروفٍ ظالمةٍ من ناحية، وظروفٍ مغريةٍ من ناحيةٍ أُخرى، كلاهما يحمل الفرد على الانحراف عن الله تعالى والخروج على تعاليمه. في حين أنَّ مَن يستهدف الأُطروحة العادلة الكاملة، يجب أن يبدأ بتطبيقها على نفسه أوّلاً، ومن المعلوم أنَّ هذا التطبيق في مثل ذلك الجوّ المنحرف من أصعب الأُمور. كما قد وصف في بعض الأخبار: «بأنَّ الماسك على دينه **كالقابض على جمرةٍ من نار**»[1].

ومن هنا يكون هذا التطبيق الفرديّ محكّاً أساسيّاً لمدى الإخلاص وقوّة الإرادة لدى الأفراد، فينهار العدد الأغلب من البشر في أحضان الظلم والإغراء تبعاً لتقديم مصالحهم الشخصيّة وراحتهم القريبة، على الأهداف

---

(١) راجع نحوه في الأمالي (للطوسيّ): ٤٨٥، الحديث ٢٩، وبحار الأنوار ٢٨: ٤٧، الباب الثاني: باب إخبار الله تعالى نبيّه وإخبار النبيّ صلى الله عليه وآله أُمّته، الحديث ٩. وفي المصدرين: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يأتي على الناس زمانٌ الصابر منهم على دينه كالقابض على الجمر**».



الكبرى والغايات القصوى. وبذلك يكون العالم قد امتلأ ظلماً وجوراً، ويبقى الأقلّون عدداً صامدين مكافحين، تشتدّ إرادتهم وتقوى عزيمتهم ويشعرون باللذّة والفخر في مكافحة تيّارات الانحراف والفساد، وسيكون على أيدي أمثال هؤلاء تحقيق الهدف الإلهيّ الأسمى، وتطبيق الأُطروحة الكاملة الشاملة، وامتلاء الأرض قسطاً وعدلاً كما امتلأت ظلماً وجوراً، كما ورد في الحديث المتواتر عن النبيّ صلى الله عليه وآله[1].

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديثٍ له عن الفتنة، قال: «**يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، حتّى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمانٍ لا نفاق فيه، وفسطاط نفاقٍ لا إيمان فيه...**» الحديث[2].

والمراد بالفتنة ظروف الظلم والإغراء، والمراد بالفسطاطين المدرستين الفكريّتين أو الاتّجاهين الاجتماعيّين، شبّههما بالفسطاطين المتحاربين، كما كان عليه أهل ذلك الزمان.

وعن الإمام الصادق عليه السلام مخاطباً لبعض أصحابه: «**يا منصور إنّ هذا الأمر لا يأتيكم إلّا بعد يأسٍ، ولا والله لا يأتيكم حتّى تميّزوا، ولا والله حتّى**

---

(١) أُنظر: إكمال الدين: ٢٥٦، وما بعدها، الباب الرابع والعشرون: نصّ النبيّ صلى الله عليه وآله على القائم عليه السلام، ووسائل الشيعة ١٦: ٢٤١، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب ٣٣، باب تحريم تسمية المهديّ عليه السلام وسائر الأئمّة عليهم السلام، الحديث ٦، ومسند أحمد ٣: ٢٨، وسنن أبي داود ٢: ٣٠٩، وما بعدها، كتاب المهديّ، الحديث ٤٢٨٢ و ٤٢٨٥.

(٢) مسند أحمد ٢: ١٣٣، وسنن أبي داود ٢: ٢٩٩، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، الحديث ٤٢٤٢.

تمحّصوا، ولا والله حتّى يشقى مَن يشقى ويسعد مَن يسعد»[1].

والمراد بهذا الأمر دولة الحقّ والهدى الموعودة في مستقبل الدّهر بقيادة المهديّ عليه السلام.

(١) الكافي ١: ٣٧٠، كتاب الحجّة، باب التمحيص والامتحان، الحديث ٣، وإكمال الدين: ٣٤٦، الباب الثالث والثلاثون: ما أخبر به الصادق عليه السلام من وقوع الغيبة، الحديث ٣٢.

شرائط التطبيق العادل الكامل

- ٧ -

والشرائط التي يتوقّف عليها تطبيق العدل الكامل في دولة الحقّ في اليوم الموعود ثلاثة:

الشرط الأوّل: وجود الأُطروحة العادلة الكاملة التي تمثّل العدل المحض والقابلة للانطباق على سائر الأماكن والأزمان، والتي تضمن للبشريّة جمعاء السعادة والرفاه في العاجل والكمال البشريّ المنشود في الآجل.

واشتراط ذلك واضح كلّ الوضوح؛ إذ بدونه يكون العدل الكامل منتفياً وتطبيقه منتفياً بطبيعة الحال.

والعدل الجزئيّ أو الناقص، لا يمكن أن يكون مجدياً أو مجزياً في سعادة البشريّة؛ لوجود جوانب من النقص فيه يمكن أن تتّضح نتيجةً للتجربة والتمحيص حتّى تأتي عليه جميعاً في يومٍ من الأيّام.

كما أنّه لا يمكن أن يكون مستهدفاً ومخطّطاً له من قبل الله عزّ وجلّ بعد وجود النقص فيه، وعدم تمثيله للعبادة الخالصة التي عرفنا أنّها الفرض الأساسيّ من خلق البشريّة، وإنّما يمثّلها العدل الكامل فحسب.

الشرط الثاني: وجود القائد المحنّك الكبير الذي له القابليّة الكاملة لقيادة العالم البشريّ كلّه، وتطبيق العدل الكامل في ربوعه.

ويتعيّن هذا الشرط بعد نفي إمكان أن تكون القيادة للجماعة أو

المجتمع؛ كما برهنّا عليه في كتابنا تاريخ الغيبة الكبرى[1].

الشرط الثالث: وجود المناصرين والمؤازرين لهذا القائد العبقريّ، بمقدارٍ كافٍ لتنفيذ ذلك الهدف الكبير.

وهذه الشرائط في واقعها شرائط لنجاح كلّ دعوةٍ عقائديّة في التاريخ، وللتوسّع في تصوّر هذه الشرائط والبرهنة عليها يراجع (تاريخ الغيبة الكبرى)[2].

أمّا الشرط الأوّل: وهو معرفة البشريّة بالأُطروحة العادلة الكاملة، فلم تكن البشريّة بمستعدّةٍ له من أوّل وجودها؛ لأنَّ المفروض في هذه الأُطروحة أن تحتوي على تدقيقاتٍ وتوسّعاتٍ من الناحية المفاهيميّة والتشريعيّة لا يمكن للمستويات الواطئة استيعابها وفهمها، ومن الطبيعيّ أن تكون البشريّة في أوّل أمرها واطئةً ثقافيّاً وفكريّاً، بل منعدمة التفكير بالمرّة، فكان من المستحيل توفّر هذا الشرط في ربوعها إلى حين وصولها في خطِّ تربيتها الطويل إلى المستوى الثقافي والفكريّ الكافي لاستيعاب وفهم هذه الأُطروحة.

وكان لخطِّ الأنبياء الطويل - خلال التاريخ البشريّ - المشاركة الأساسيّة في تربية البشريّة من هذه الناحية، فكانت المفاهيم والتشريعات تنزل تدريجاً لتربّي المستوى الفكريّ للبشريّة تدريجاً.

ونحن - كمسلمين - نعتقد أنَّ البشريّة قد وصلت إلى أوّل المستويات التي بها يمكنها فهم تلك الأُطروحة في عصر الرسول الأعظمﷺ، ومن هنا



(١) راجع الغيبة الكبرى: ٤٣٤، وما بعدها، القسم الثالث: في شرائط الظهور وعلاماته ...، الفصل الأوّل: في شرائط الظهور.

(٢) راجع المصدر السابق.

كان أن أُنزلت هذه الأُطروحة العادلة الكاملة من السماء إلى الأرض، متمثّلةً بالإسلام بما يحمل من عقائد ومفاهيم وتشريعاتٍ دقيقة لم يكن يوجد ما يضاهيها في أيّ شريعةٍ سابقةٍ، وبذلك وفّر الله تعالى في البشريّة الشرط الأوّل من شرائط تطبيق غرضه الأساسيّ من خلق البشريّة، وهو إيجاد المجتمع العالميّ المحكوم لدولة الحقّ والهدى.

وأمّا الشرط الثاني - وهو وجود القائد العالميّ -: فقد وفّره الله تعالى في المهديّ عليه السلام، وهذا أمرٌ عليه إجماع المسلمين، وإن اختلفوا أنّه يولد في زمانه، كما يذهب إليه جمهور العامّة، أو أنَّ له حياةً طويلةً وغيبةً عميقةً سابقةً على ظهوره كما يذهب إليه الإماميّة.

وقد برهنّا في تاريخ الغيبة الكبرى[1]: على ضرورة هذا البقاء الطويل وفوائده الأساسيّة للإسلام والمسلمين، ولانتصار المهديّ نفسه بعد ظهوره أيضاً، ممّا يكون له دخلٌ في أهدافه نفسها، ممّا لا نستطيع أن ندخل في تفاصيله فعلاً، وعلى أيّ حالٍ فكلّ فهمٍ للمهديّ لا يعترف بالغيبة الكبرى لابدَّ أن يخسر هذه الفوائد الأساسيّة.

وهذا وحده يكفي برهاناً على ضرورة الغيبة الكبرى وطول عمر المهديّ، لما عرفناه من أنَّ كلّ شيءٍ دخيلٌ في الهدف الأساسيّ الإلهيّ من إيجاد دولة الحقّ؛ فإنَّ الله تعالى يحقّقه حتماً. إذن، فهو يحقّق الغيبة الكبرى وطول عمر المهديّ حتماً.

سنضيف إلى ذلك الأدلّة على إمكان طول عمر الإنسان عدداً كبيراً من

---

(١) راجع الغيبة الكبرى: ٤٢٩، وما بعدها، القسم الثالث: في شرائط الظهور وعلاماته ...، الفصل الأوّل: في شرائط الظهور.

السنين، وإن كنّا في غنىً عنها بعد ذلك الدليل. فانتظر إلى الفصل الآتي.

وأمّا **الشرط الثالث**- وهو وجود المؤازرين والمناصرين بالمقدار الكافي لغزو البشريّة بالحقّ والعدل وتأسيس دولة الهدى-: فهذا الشرط غير متوفّرٍ في البشريّة إلى حدّ الآن، وسيظهر المهديّ عليه السلام بمجرّد توفّره ويبدأ بتطبيق أهدافه، ولا يعلم وقت توفّره إلّا الله تعالى والمهديّ نفسه، دون أيّ إنسانٍ على وجه الأرض، ومن هنا يبقى وقت ظهور المهديّ سرّاً غامضاً إلى حين تحقّقه.

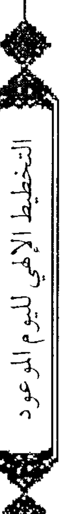
والسرّ في عدم توفّره: هو أنَّ البشريّة وإن كانت قد تكاملت من الناحية الفكريّة والثقافيّة إلى حدٍّ استطاعت فهم الأُطروحة العادلة الكاملة، إلّا أنّها من الناحية العاطفيّة- من ناحية الإخلاص وقوّة الإرادة والوعي- لا زالت في أواسط الطريق.

وأبسط سببٍ يمكن أن يُبيّن لذلك، هو أنَّ التكامل الثقافيّ لا يواجه شيئاً مهمّاً من العوائق والعوارض في الخطّ التاريخيّ الطويل، ولا زال الأذكياء والنوابغ في كلّ ميدانٍ من ميادين المعرفة يضيفون الجديد بعد الجديد إلى الثقافة البشريّة العامّة.

وأمّا التكامل في الإخلاص وقوّة الإرادة تجاه العدل والمستوى الأخلاقيّ الرفيع، فله عوائق وعوارض كثيرةٌ مستمرّةٌ على طول خطّ التاريخ، وهي كلّ الغرائز والمصالح الضيّقة والشهوات والأطماع الدانية.

ومن هنا كان ترقّي الإخلاص وتكامله بطيئاً للغاية في الفرد وفي المجتمع، وتربيته صعبةً وطويلة الأمد.

ومن هنا كان من المنطقيّ أن تصل البشريّة إلى المستوى الثقافي اللائق، ولا تصل إلى المستوى اللائق للإخلاص وقوّة الإرادة، فيتحقّق بذلك الشرط



الأوّل ولم يتحقّق الشرط الثالث.

وقد خطّط الله تعالى - كما عرفنا- لإيجاد هذا المستوى في العدد الكافي من الناس؛ لتطبيق دولة الحقّ، بمرور البشريّة في عصرٍ طويل بظروف من المحن والمشاكل والمظالم؛ لأنَّه هو السبب الأساسيّ لتربية الفرد والمجتمع من ناحية الإخلاص كما عرفنا.

ولا زالت البشريّة تعاني هذه الظروف الظالمة إلى حين يتوفّر الشرط الثالث من شرائط الظهور.

والسرّ في عدم إمكان الاطّلاع الاعتياديّ على توفّر هذا الشرط، هو أنَّنا نجهل بالدقّة المستوى الذي يريد الله تعالى توفّره في هؤلاء الأفراد، ومن هنا لا نستطيع أن نشير إلى شخصٍ معيّن، وإن كان مخلصاً، فنقول: أنَّه من العدد المطلوب.

مضافاً إلى أنَّ هذا العدد يجب توفّره في العالم كلّه، وكيف يمكن للناس الاطّلاع على توفّر ذلك؟ إنَّ هذا لمستحيلٌ لغير الله تعالى والمهديّ عليه السلام.

وأمّا كيفيّة اطّلاع المهديّ عليه السلام على توفّر هذا العدد، فهذا ممّا لا ينبغي أن ندخل فيه، بعد أن فصّلناه في تاريخ ما بعد الظهور[1].

---

(١) راجع تاريخ ما بعد الظهور: ٥٨١، وما بعدها، الفصل الرابع: قيادات أصحابه ومقدار قابليّاتها.

الفصل الثالث

هل يمكن أن يطول العمر فوق المقدار الطبيعي

إمكان طول العمر

ـ ١ ـ

ينبغي أن نلتفت سلفاً قبل الدخول في التفاصيل، إلى أنَّ الأعمار الطويلة الملفتة للنظر موجودةٌ في تاريخ البشريّة بعددٍ ليس بالقليل، وإن كانت تعتبر نادرة الوجود بالنسبة إلى مجموع أعمار البشر.

وأنَّ كلّ ما يعيشه الفرد الاعتيادي منّا ذهنياً من التشكيك تجاه طول عمر الإنسان، إنَّما هو الاستبعاد الناشئ من الندرة وعدم توفّره بشكلٍ شائع؛ لأنَّ الإنسان وهو اللاصق بمحسوساته والأليف مع شهاداته، يستبعد ويستنكر كلّ ما هو بعيدٌ عن محسوساته وقليلٌ في مشاهداته، من دون أن يكون هناك أيّ إدراكٍ عقليٍّ قطعيٍّ بالاستحالة أو التعذّر.

إمكان طول العمر علمياً

ـ ٢ ـ

وقد ثبت علميّاً إمكان أن تبقى الخليّة الحيّة على قيد الحياة ما دام الغذاء وارداً عليها بغضّ النظر عن الزمن[١]، أي: مهما طال الزمن، وإنّما يشيخ الإنسان ويضعف للعوارض والأمراض والهموم التي تطرأ عليه.

وهذه هي نتيجة بحوث جماعةٍ من الباحثين، أمثال: الدكتور (ألكسيس كارل)[٢]، والدكتور (جاك لوب)[٣]، والدكتور (ورن لويس

(١) راجع مجلّة المقتطف: مج ٥٩، ج٣، ص ٢٣٨- ٢٤٠، (هل يخلّد الإنسان في الدنيا).

(٢) ألكسيس كارل (١٨٧٣- ١٩٤٤م)، جرّاح وبيولوجيّ تجريبيّ أمريكيّ، ولد بفرنسا، انضمّ إلى معهد روكفلر ١٩٠٦م، مُنح جائزة نوبل للفسيولجيا والطبّ ١٩١٢م؛ لبحوثه في خياطة الأوعية الدمويّة ونقل الدم وزرع الأعضاء، كما ابتكر طرقاً تمكّن من الاحتفاظ بأنواعٍ مختلفةٍ من الأنسجة والأعضاء حيّةً، وقد حفظ أنسجة كتكوت حيّةً ٣٢ عاماً.

عاد إلى فرنسا ١٩٣٩م، وألّف مع لندبرج غرس الأعضاء ١٩٣٨م.

أمّا كتابه «الإنسان ذلك المجهول» ١٩٣٥م، و«تأمّلات في سلوك الحياة»، ورسالته الصغيرة عن الصلاة، ففيها إيمانه بإمكان تحسين الكائن البشريّ من الناحية الروحيّة بالتحكّم في استخدام العوامل الطبيعيّة والكيميائيّة. وله جانبٌ فلسفيٌّ مؤدّاه: أنّ كلّ خليّة في الجسم تهتدي في عملها بالعقل الكلّي، وأنّ الكون مملوء بعقولٍ فعّالةٍ غير عقولنا، وأنّ الصلاة من وسائل الاتّصال بالعقول التي حولنا، وبالعقل الأزليّ المسيطر على الكون. راجع الموسوعة العربيّة الميسّرة: ٢٦٢٦، حرف الكاف.

(٣) جاك لوب (١٨٥٩- ١٩٢٤م)، فسيولوجيٌّ أمريكيٌّ، وُلد في ألمانيا، جاء إلى

وزوجته)[1]، فقد قاموا بإجراء عدّة تجارب في معهد (روكفلر)[2] بنيويورك على أجزاء لأنواع مختلفة من النبات والحيوان والإنسان.

وإليك نتائج تجارب الدكتور (كارل) التي شرع فيها في كانون الثاني سنة١٩١٢م:

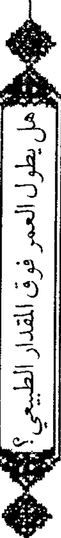
١. أنَّ هذه الأجزاء الخلويّة تبقى حيّةً ما لم يعرض لها عارضٌ يميتها، إمّا من قلّة الغذاء أو من دخول بعض الميكروبات.

الولايات المتّحدة الأمريكيّة ١٨٩١م. وأصبح عضواً في معهد روكفلر للبحث الطبّيّ منذ عام ١٩١٠م، مشهور بنظريّة التروبزم (الانتحاء)، وتجاربه في إنتاج التوالد العذريّ والاستجداد بالتنبيه الكيميائيّ.

وقد عرض أيضاً فلسفةً آليّةً تقول بأنَّ مبادئ الأخلاق كلّها ما هي إلّا ثمرة تروبزمات الإنسان الموروثة. راجع الموسوعة العربيّة الميسّرة: ٢٨٨٥، حرف اللّام.

(١) لم نعثر على ترجمةٍ لها، بل لم نعثر على ذكرٍ لها - في حدود تتبّعنا في المصادر العربيّة والإنجليزيّة- سوى في مقال مجلّة المقتطف المشار إليه سابقاً، وكلّ مَن أشار إليها استند إلى هذا المقال.

(٢) مؤسّسة أسّسها جون د. روكفلر في ١٩١٣م بهبةٍ تبلغ ١٥٠ مليون دولار كي تعمل على رفع مستوى الجنس البشريّ في جميع أرجاء العالم، وأسهمت المؤسّسة في ميادين الصحّة العامّة والبحوث الطبيعيّة، والعلوم الطبيعيّة والاجتماعيّة. وهي علاوة على تشغيلها عدداً كبيراً من الباحثين تقدّم منحاً لآلاف الطلّاب. وهي تهتمّ في المقام الأوّل بالأبحاث العلميّة في المجالات الطبيّة والحيويّة. والتعليم الطبّي فيها يتمّ على مستويي الدراسات العليا ودراسات ما بعد الدكتوراه. وقد ارتبط اسم الجامعة بالعديد من الإنجازات والاكتشافات العلميّة الهامّة، وقد عمل فيها (٢٣) من الفائزين بجائزة نوبل. راجع الموسوعة العربيّة الميسّرة: ١٦٨٦، حرف الراء، وموقع الجامعة: (rockefeller).



٢. أنّها لا تكتفي بالبقاء حيّةً، بل تنمو خلاياها وتتكاثر، كما لو كانت باقيةً في جسم الحيوان.

٣. أنّه يمكن قياس نموّها وتكاثرها ومعرفة ارتباطها بالغذاء الذي يقدّم لها.

٤. أنّه لا تأثير للزمن، أي: أنّها لا تشيخ ولا تضعف بمرور الزمن، بل لا يبدو عليها أقلّ أثرٍ للشيخوخة، بل تنمو وتتكاثر هذه السنة، كما لو كانت تنمو وتتكاثر في السنة الماضية وما قبلها من السنين.

وتدلّ الظواهر كلّها على أنّها ستبقى حيّةً ناميةً، ما دام الباحثون صابرين على مراقبتها وتقديم الغذاء الكافي لها[1].

وأكّد تقرير نشرته الشركة الوطنيّة الجيوغرافيّة: أنَّ الإنسان يستطيع أن يعيش (١٤٠٠) سنة إذا خُدّر مثل بعض الحيوانات لينام طيلة فصل الشتاء.

ويقول التقرير الآنف الذكر: إنَّ التخدير أثناء فصل الشتاء يطيل حياة الحيوان الذي يتعرّض للتخدير عشرين ضعفاً بالنسبة لحياة الحيوانات المماثلة التي تبقى ناشطةً طيلة فصول السنة[2].

ليس هذا فقط، بل قد يطول العمر آلافاً بل ملايين السنين. اسمع معي هذه الأخبار.

---

(١) أُنظر: في انتظار الإمام (للفضليّ): ٥٧، والمهديّ (للسيّد صدر الدين الصدر): ١٣٤ (منه قدّس سرّه)، نقلاً عن مجلّة المقتطف: مج ٥٩، ج٣، ص ٢٣٨- ٢٤٠، (هل يخلّد الإنسان في الدنيا).

(٢) في انتظار الإمام: ٥٨ (منه قدّس سرّه)، نقلاً عن مجلّة المقتطف: مج ٥٩، ج٣، ص ٢٣٨- ٢٤٠، (هل يخلّد الإنسان في الدنيا).

في مقالٍ نشرته إحدى المجلّات الفرنسيّة، يتحدّث الكاتب فيه عن نوعٍ من الضفادع يعرف بالتريتون، اكتُشفت واحدةٌ منه متجمّدةً تماماً على عمق حوالي عشرة أمتار في إحدى الأراضي السيبيريّة، فانتزعها فريقٌ من العلماء من قاعها العميق ذاك، وأزالوا عنها تجمّدها تدريجاً وفي حذرٍ شديد، فإذا هي ترتدّ إليها الحياة، تأخذ تأكل في شهيّةٍ طيّبةٍ، إنّها عاشت عدّة أشهر بعد انبعاثها ذاك.

إنَّ الجليد يحفظ لا الجثث وحدها ولكن الكائنات الحيّة أيضاً[1].

ونشرت مجلّة (فرانك فورتر الجيمين) خبراً مذهلاً، خبر واحدة من التريتون تبيّن من دراسة الأرض التي وُجدت فيها أنَّها تجمّدت منذ خمسة آلاف سنة، وسردت المجلّة أمثلة أُخرى سبق أن أوردها باحثون سوفييت، مثلاً: وجدت تريتونة على عمق أربعة عشر متراً في إحدى آبار نهر كولينا، فأُعيدت إليها الحياة، فعاشت خمسة أشهر بعد تحرّرها من الجليد.

وفي عام١٩٦٣ حرّرت واحدة أُخرى من جليدها فلم تعش إلّا يوماً واحداً. كلّ هذه الحيوانات يرجع العهد بها إلى آلاف السنين.

لا أهمّيّة للزمن هنا! هكذا يقول علماء الحياة، ما دامت الحياة مؤجّلةً معلّقةً لا مخرّبةً متلفةً؛ فإنَّ عودتها ممكنةٌ ولو كرّت الدهور مئات الملايين من السنين.

وقد برهن أحد العلماء الجراثيميّين الألمان - وهو الأُستاذ رومبروسكي-: أنَّ جراثيم أحد الينابيع المالحة إنّما يعود عهدها إلى العصر الجيولوجي البدائي.

---

(١) مجلّة طبيبك: ٥، العدد ١٠٦، السنة التاسعة، حزيران ١٩٦٥ (منهقدس سره).

ذلك أنَّ كتلة الملح التي سجنتها وعطّلت الحياة فيها حفظتها، فعبرت جميع الأدوار الجيولوجيّة من غير أن تموت أو تحيا، إلى أن وضعت في الماء ثانيةً، فعاودتها الحياة[1].

وقد تَمَّ أخيراً في استراليا العثور على برغوث مطمور في الأرض له من العمر ١٢٠ مليون سنة، وهو - كما يؤكّد العلماء- أكبر برغوث في العالم؛ لأنَّ ما اكتشف من البراغيث لا يعود تاريخها إلى أكثر من ٨٠ مليون سنة.

... اكتشف البرغوث بطريق الصدفة في الوحل، بينما كان باحثون من جامعة (موناش) ينقّبون في مطمورات وأسماك متحجّرة، فبدا مختلفاً تماماً من حيث الشكل عن بقيّة البراغيث التي نعرفها اليوم، كان الجسم أكبر والقوائم كانت على ما يبدو تتمتّع بطبقةٍ كثيفةٍ من الوبر، وكان قرنا السمع لديه أكثر طولاً من سائر القضبان الموجودة عند هذه الحشرات، فيما كان البطن وبعض الأعضاء الأُخرى تتشابه مع بطون براغيث هذا العصر وأعضائها.

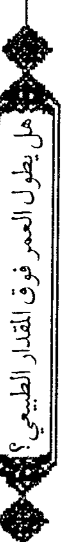
وحيث كان ابن المائة وعشرين مليون سنة يقضي هذه القرون الطويلة من العمر، كان يتنعّم بجوٍّ هادئ ضمن رطوبة بحيرةٍ تتفيّأ بظلال قمم جبال تغطّيها الثلوج وتحيطها من جميع الجوانب[2].

إذن، فالحياة قابلةٌ للطول دهراً عظيماً من السنين، وليس للعلم أن يخفي إمكان ذلك بحال من الأحوال.

---

(١) المصدر السابق: ٦ (منهقدّسسرّه).

(٢) مجلّة الأسبوع العربي: ٧٠، العدد ٥٩٨، السنة الثانية عشرة، الاثنين ٢٣ تشرين الأوّل، ١٩٧٠ (منهقدّسسرّه).



إمكان طول العمر تاريخياً

- ٣ -

وأمّا في مجال النقل التاريخيّ للمعمّرين من البشر، فهو موجودٌ بكثرةٍ وغزارة، وأنَّ كلّ جيل يعاصر عدداً لا يستهان به منهم.

ولعلّ أوضح مثال على ذلك، في عقيدتنا كمسلمين: هو ما ذكره الله تعالى في كتابه المجيد من أنَّ نوحاً (على نبيّنا وعليه السلام) عاش في قومه داعياً وهادياً مدّة خمسين وتسعمائة عام (ألف سنة إلّا خمسين عاماً)[١]، بغضِّ النظر عن المدّة التي كان قد قضاها قبل نبوّته، والمدّة التي قضاها بعد الطوفان.

وأمّا التوراة - والحديث عن التوراة يعتبر ملزماً لمَن يعتقد بصحّتها، وهم اليوم ملايين البشر على وجه الأرض من اليهود والمسيحيّين-: فهي تصرّح بأنَّ آدم أبا البشر عاش ثلاثين وتسعمائة سنة[٢]، وابنه شيث عاش اثنتي عشر وتسعمائة سنة[٣]، وانوش ابنه عاش خمساً وتسعمائة سنة[٤]، وقينان ابن

---

(١) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾. سورة العنكبوت، الآية ١٤.

(٢) سفر التكوين ٥/ ٨ (منه قدس سره).

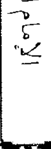
(٣) المصدر ٥/ ١١ (منه قدس سره).

(٤) المصدر ٥/ ١٤ (منه قدس سره).

انوش عاش عشراً وتسعمائة سنة[1]، ومهلائيل بن قينان عاش خمساً وتسعين وثمانمائة سنة[2]، وعاش يارد ابنه اثنان وستون وتسعمائة سنة[3]، وعاش اخنوخ ابن يارد خمس وستين وثلاثمائة سنة[4]، وعاش متوشالح ابنه تسعاً وستّين وتسعمائة سنة[5]، وعاش لامك بن متشوالح سبعاً وسبعين وسبعمائة سنة[6].

وأمّا نوح النبيّ عليه السلام، فكلّ أيّامه خمسين وتسعمائة سنة[7]، وهو مشابه لما ذكر في القرآن، وإن كان القرآن لا يدلّ على هذا الحصر.

وأمّا أخبار المعمّرين فوق المئة والمئتين، فحدّث عنها ولا حرج، [وهي] متوفّرة في المصادر بكثرة لَمن شاء أن يراجع، لا حاجة فعلاً إلى الدخول في سرد تفاصيلها[8].



---

(١) المصدر ٥/ ١٧ (منه قدس سره).

(٢) المصدر ٥/ ١٧ (منه قدس سره).

(٣) المصدر ٥/ ٢٠ (منه قدس سره).

(٤) المصدر ٥/ ٢٤ (منه قدس سره).

(٥) المصدر ٥/ ٢٨ (منه قدس سره).

(٦) المصدر ٥/ ٣١ (منه قدس سره).

(٧) المصدر ٩/ ٢٨ (منه قدس سره).

(٨) وقد ألّف في ذلك المؤلّفون كتباً خاصّة (منه قدس سره). من قبيل: المعمّرون والوصايا، لأبي حاتم السجستاني، ونحن المعمّرون، لحسن عبد السلام، (من سلسلة اقرأ، برقم ١١٠)، وعش مائة عام، تأليف: الأخصّائي العالمي: جايلور هاوزر، (سلسلة كتاب الهلال)، والتصوير السينمائي في علم الأحياء، تأليف: ماري فيلد، ج فالنتين ديرون، ف مري سميث، ترجمة: عبد العزيز محمود الحسني، (من سلسلة ألف كتاب، برقم ٦٦١)، وأُسس الصحّة والحياة، للدكتور عبد الرزاق الشهرستاني.

فإذا كان طول العمر أمراً ممكناً بالنسبة إلى كثير من الناس علميّاً وعقليّاً ودينيّاً، فلماذا لا يكون المهديّ مشمولاً لمثل هذا الإمكان. وخاصّة بعد أن عرفنا توقّف الغرض الأساسيّ من خلق البشريّة وإيجادها على ذلك.

الفصل الرابع

الغيبة الكبرى

تحديد الغيبة الكبرى

- ١ -

تبدأ الغيبة الكبرى بالبيان الذي أعلن فيه المهديّ عليه السلام عام ٣٢٩ هجريّة انتهاء السفارة عنه وبدء الغيبة التامّة، وأنّه لا ظهور إلّا بإذن الله عزّ وجلّ، ذلك البيان الذي سبق أن سمعناه.

وينتهي عصر الغيبة الكبرى بيوم الظهور الموعود الذي يبزغ فيه نور الإمام المهديّ عليه السلام، وتسعد البشريّة بلقائه؛ ليخرجها من الظلمات إلى النور، ويملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

ومعه، فنكون الآن معاصرين لهذه الفترة التي نؤرّخها، وسيبقى الناس معاصرين لها حتّى يأذن الله تعالى بالفرج.

والإسلام والمسلمون يمرّون خلال هذه الفترة، بأصعب الظروف التي عاشوها، بل التي عاشتها الأديان الإلهيّة بشكلٍ عامّ؛ باعتبار تركيز التمحيص الإلهيّ واستهداف تربية البشريّة على الأُطروحة العادلة الكاملة. ذلك التمحيص الذي حملنا عنه فكرةً كافيةً في الفصل الثاني.

عمل الإمام المهديّ عليه السلام خلال غيبته

-٢-

والإمام المهديّ عليه السلام طبقاً للتكليف الإسلاميّ العامّ بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدفاع عن الإسلام، ودفع البلايا عن المسلمين، لا نستطيع أن نتصوّره إلّا قائماً بواجبه ذلك، خلال غيبته الكبرى، بصفته من المكلّفين بأحكام الإسلام بل من أعظمهم ومن أخلص المطبّقين له، بل أشدّ الناس إخلاصاً على الإطلاق، بعد عصر الإسلام الأوّل.

إلّا أنّنا ينبغي أن نعلم: أنَّ الإمام المهديّ عليه السلام يتوخّى في موارد عمله هذا وجود شرطين أساسيّين، إن اجتمعا أمكنه العمل، وإن تخلّف أحدهما أو كلاهما لم يمكنه ذلك، ولزمه إبقاء الواقع على واقعه بحسب تكليفه الإسلامي:

الشرط الأوّل: أن لا يُؤدّي به عمله إلى انكشاف أمره وانتفاء غيبته؛ باعتبار ما سبق أن عرفناه من ضرورة غيبته بالنسبة إلى أهدافه يوم ظهوره. ومن المعلوم أنَّ كلّ ما أضرّ بتلك الأهداف، فهو ممّا لا يمكن أن يريد الله تعالى وجوده بين البشر.

الشرط الثاني: أن لا يُؤدّي عمله إلى التخلّف والقصور في تربية الأُمّة أو اختلال شرائط الظهور الموعود؛ (فإنّنا عرفنا عن التخطيط الإلهيّ لليوم الموعود، أنّه توخّياً واستهدافاً لأن تكون الأُمّة عند الظهور والبدء بالتطبيق

العالمي العادل على مستوى من الشعور بالمسؤوليّة والإخلاص والاستعداد للتضحية، يؤهّلها للقيام بالغزو العالمي بالحقّ والعدل والهدى)[1].

وهذا المستوى من الإخلاص- كما عرفنا- لا يمكن أن يوجد في الأُمّة إلّا بعد تربيتها ضمن ظروفٍ طويلةٍ من المظالم والتعسّف والمصاعب.

إذن، فهناك كثيرٌ من المظالم التي نعيشها، لها الأثر الكبير في تربية الأُمّة وتعميق درجة الإخلاص في إيمانها، ومثل هذه المظالم ممّا لا يمكن للمهديّ عليه السلام أن يعمل ضدّه أو يحول دونه؛ لأنّه يُؤدّي بذلك إلى الكفكفة عن إيجاد الإخلاص المطلوب وضعف وجوده أو انعدامه، كيف وهو أحد الشرائط الأساسيّة ليوم الظهور، وقد عرفنا أنّ كلّ ما يمتّ إلى مصلحة اليوم الموعود بصلةٍ، فلابدّ من وجوده، وكلّ ما يضرّه فلابدَّ من زواله؛ تقديماً لمصالح مستقبل البشريّة الكبير على حاضرها الضئيل.

---

(١) العبارة تحتاج إلى إصلاح جذري (منه قدس سره). يبدو أنّه قدس سره أراد أن يرجع على هذا المقطع لأجل إعادة صياغته. وقد وضعنا القوسين للتدليل على مقدار العبارة.

الأخبار الدالَّة على نفعه في زمن الغيبة

-٣-

وهذا هو المراد الحقيقيّ الداعي من النصوص الواردة عن المهديّ نفسه، والتي تثبت- بصراحةٍ- قيامه بالعمل الاجتماعيّ النافع، كقوله المشهور: «**وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي، فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب**»، وأضاف عليه السلام: «**وإنّي لأمانٌ لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمانٌ لأهل السماء**»[1].

فالسحاب كنايةٌ عن الغَيبة، تشبيهاً لها بخفاء الشمس وراء السحاب، والشمس كنايةٌ عن التأثير النافع المنتج في المجتمع الإسلاميّ، كما تكون الشمس نافعةً في استمرار الحياة على وجه الأرض.

وأمّا وجه التمثيل بمغيب الشمس وراء السحاب، فلوضوح أنّ العمل الذي يمكن للمهديّ تنفيذه حال غيبته وجهل الناس بحقيقته، أقلّ بكثيرٍ ممّا يستطيع القيام به حال ظهوره وإعلان أمره. وهو مقدارٌ مهمٌّ يخسره المجتمع الإسلاميّ حال الغيبة، كما يخسر الزرع والضرع نور الشمس حين تغيب وراء السحاب.

---

(١) الاحتجاج ٢: ٢٨٤ (منه قدس سره). وراجع أيضاً إكمال الدين: ٤٨٥، الباب الخامس والأربعون: ذكر التوقيعات، الحديث ٤، والخرائج والجرائح ٣: ١١١٥، باب العلامات السارّة الدالّة على صاحب الزمان حجّة الرحمن ...، الحديث ٣٠.

ومن النصوص المرويّة عن الإمام المهديّ عليه السلام ممّا هو أدلّ على نسبة العمل المثمر إليه وأوضح من النصّ السابق، قوله: «**إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء[1] واصطلمكم[2] الأعداء، فاتّقوا الله جلّ جلاله، وظاهرونا على انتياشكم[3] من فتنةٍ قد أنافت[4] عليكم، يهلك فيها مَن حمّ[5] أجلُه، ويحمى عنها من أدرك أملَه**»...الخ النصّ[6].

ونحن نعلم أنَّ الوقوفَ ضدّ الأعداءِ وضدّ نزول اللأواء لا يكون إلَّا بالعمل المثمر والجهاد الحقيقيّ على الصعيدين العامّ والخاصّ، وخاصّة وهو عليه السلام يأمرنا بمظاهرته على إخراجنا من الفتنة والنجاة من الهلكة؛ فإنَّ على كلِّ فردٍ مسؤوليّةً تامّةً في ذلك، ولا تنحصر المسؤوليّة بالقائد كما هو واضح. بل إنَّ شعور القائد بالمسؤوليّة لا يكون مثمراً من دون شعور شعبه ورعيّته بالمسؤوليّة.

(١) اللأواء: الشدّة وضيق المعيشة.

(٢) اصطلمه: استأصله.

(٣) انتاشه من الهلكة: أنقذه.

(٤) أناف على الشيء، أي: طال وارتفع عليه.

(٥) حمّ أجله: قرب.

(٦) الاحتجاج: ٢: ٣٢٣، ترجمة الشيخ المفيد، والخرائج والجرائح (للراوندي) ٢: ٩٠٣، باب في معجزات محمّد صلى الله عليه وآله وأوصيائه عليهم السلام.

مقابلات المهديّ عليه السلام خلال غيبته الكبرى

- ٤ -

واستمرّ الإمام المهديّ عليه السلام بعد غيبته الصغرى على مقابلته للناس لكن بشكلٍ أقلّ وأندر، وبشكلٍ لا ينافي الاستمرار على غيبته والجهل بحقيقته.

والأخبار الدالّة على هذه المقابلات، عددٌ ضخمٌ يفوق حدّ التواتر بكثير، بحيث نعلم باليقين بعدم الكذب والوهم والخطأ فيها في الجملة، وبعضها ذات أسانيد عاليةٍ يرويها أشخاصٌ في درجاتٍ عاليةٍ من الوثاقة والإخلاص.

والحاصل منها باليد، ما يفوق المئة، يذكر منها المحدّث النوريّ في (النجم الثاقب)[1] مئةً كاملةً، ويذكر أيضاً في (جنّة المأوى)[2] خمسين، ويذكر المجلسي في (الجزء الثالث عشر من البحار[3])[4] عدداً منها، وهناك على

(١) راجع النجم الثاقب ٢: ٣٩- ٣٤٩، الباب السابع: في ذكر حكايات وقصص الذين وصلوا إلى خدمة إمام الزمان عليه السلام.

(٢) أي: جنّة المأوى في ذكر مَن فاز بلقاء الحجّة عليه السلام. ولم نشر إلى موضعٍ معيّنٍ منه؛ لأنَّ الكتاب بمجموعه عبارةٌ عن حكايات الذين تشرّفوا بلقاء مولانا صاحب الزمان عليه السلام.

(٣) طبعة قديمة.

(٤) راجع بحار الأنوار ٥٣: ١٩٩- ٣١٧، جنّة المأوى، في ذكر مَن فاز بلقاء الحجّة عليه السلام أو معجزته في الغيبة الكبرى، لمؤلّفه النوري قدس سره.

الألسن والمصادر الأُخرى ما يزيد على ذلك، منها ما أرويه أنا شخصياً من عددٍ من الحوادث، وقد أثبتُّ بعضَه في (تاريخ الغيبة الكبرى)[1]، وتركت البعض الآخر.

وقد ذكرنا في (تاريخ الغيبة الصغرى)[2]: أنّه يحتمل - بل يمكن أن ندّعي اليقين - بأنَّ هناك مقابلاتٍ مع المهديّ عليه السلام كثيرةً غير مرويّةٍ إطلاقاً، وأنَّ المهديّ عليه السلام يتّصل بعددٍ من المؤمنين في العالم في كلِّ جيل، مع حرصهم على عدم التفوّه بذلك وكتمه إلى الأبد، تحت عوامل نفسيّة مختلفة شرحناها هناك.

بل من الممكن التأكيد بأنَّ المقابلات غير المرويّة أكثر بكثير من المقابلات المرويّة.

وكان بودّي أن أسرد لك عدداً من حوادث المقابلات، لولا ابتناء هذا الكتاب على الاختصار.

---

(١) راجع الغيبة الكبرى: ١٤٦ - ١٤٨، الفصل الرابع: في مقابلاته عليه السلام خلال غيبته الكبرى...، الأمر السابع، المستوى الثاني.

(٢) راجع تاريخ الغيبة الصغرى: ٥٢٤، الفصل الخامس، الحقل السابع: إعلان انتهاء السفارة وبدء الغيبة الكبرى، الوجه الخامس: المستوى الثاني.

الفصل الخامس

التكليف الإسلامي خلال عصر الغيبة الكبرى

الانتظار

-١-

ينقسم التكليف الإسلاميّ الصحيح إلى عدّة أقسام، ينبغي النظر إليها مليّاً وبإيجاز.

القسم الأوّل: انتظار ظهور الإمام المهديّ عليه السلام، والمفهوم الإسلاميّ الواعي الصحيح للانتظار هو التوقّع الدائم لتنفيذ الغرض الإلهيّ الكبير، وحصول اليوم الموعود الذي تعيش فيه البشريّة العدل المحض الكامل والقيادة الصالحة بإشراف المهديّ عليه السلام وتدبيره.

وهذا المعنى مفهومٌ إسلاميٌّ عامٌّ تشترك فيه المذاهب الكبرى في الإسلام؛ إذ بعد إحراز هذا الغرض الكبير بنصِّ القرآن- كما عرفنا[1] -وتواتر الأخبار المبشّرة بالمهديّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله بنحوٍ يحصل اليقين ويقطع العذر أمام الله عزّ وجلّ، وبعد إناطة توقيت البدء بتنفيذ الغرض بالله عزّ وجلّ وحده، واحتمال استكمال اليوم الموعود شرائطه في كلِّ حين.

إذن، فمن المحتمل في أيّ يومٍ وفي كلِّ يومٍ أن يقوم المهديّ عليه السلام بالسيف، وبالثورة الكبرى لتطبيق ذلك الغرض؛ لوضوح احتمال إرادة الله تعالى لذلك في أيّ وقت.

(١) إشارة إلى النصّ القرآني الدالّ عليه (منه قدّس سرّه). لعلّ المراد بذلك هو قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ من سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

لا ينبغي أن تختلف في ذلك الأُطروحة الإماميّة لفهم المهديّ عليه السلام عن غيرها؛ إذ على تلك الأُطروحة يأذن الله تعالى له بالظهور بعد الاختفاء، وأمّا على الأُطروحة الأُخرى القائلة بأنَّ المهديّ عليه السلام يُولد في مستقبل الدهر ويقوم بالسيف[1]، فباعتبار احتمال أن يكون الآن مولوداً ويوشك أن يأمره الله جلّ جلاله بالظهور.

وإذا كان الفرد على المستوى الصحيح الكامل للانتظار، استطاع أن يحرز الخير على مستوياتٍ أربعة:

المستوى الأوّل: إحراز الخير لنفسه في دنياه وآخرته، أمّا في آخرته: فباعتبار رضاء الله عزّ وجلّ، وأمّا في دنياه: فباعتبار أمرين:

أحدهما: السلوك العادل الذي يتّخذه الفرد، والمعاملة الصالحة والعلاقات الجيّدة التي يتعامل بها مع الآخرين.

ثانيهما: أنَّه يصبح على مستوى المسؤوليّة لتحمّل مواجهة القيادة في اليوم الموعود إذا بزغ فجره.

المستوى الثاني: إحراز الخير لأُمّته الإسلاميّة؛ باعتبار أنَّه إذ يعدّ نفسه على مستوى المطلوب؛ فإنَّه يشارك في تهيئة شرط اليوم الموعود، بمقدار تكليفه وقدرته؛ باعتبار أنَّه يُوفّر في نفسه الإخلاص المطلوب في هذا الشرط، فيكون قد تسبّب إلى الخير كلّ الخير لأُمّته ودينه.

مضافاً إلى مشاركته في هداية الآخرين وتربية الإخلاص فيهم، فيكون مشاركاً في إيجاد شرط الظهور لنفسه وغيره.

---

(١) كما عليه جملة من أهل السنّة.



المستوى الثالث: إحراز الخير لا لأُمّته فحسب بل للبشر جمعاء؛ فإنَّه بإعداده نفسه أو هو وغيره ليوم الظهور يكون قد شارك في تأسيس أساس التطبيق الكبير للأُطروحة العادلة الكاملة في ربوعها، وبذلك يضمن أحسن الخير وأقصى الكمال لبني جنسه أجمعين.

وهذه المستويات الثلاثة ممّا تقتضيها وتوافق عليها العقائد الإسلاميّة العامّة المشتركة بين سائر المذاهب، بل ممّا يقتضيه الاعتراف باليوم الموعود في أيّ دينٍ من الأديان.

المستوى الرابع: أنَّ الفرد بمساهمته في إيجاد شرط الظهور، يساهم في إرضاء إمامه المهديّ الغائب عليه السلام - طبقاً للأُطروحة الإماميّة- وجلب الراحة إلى نفسه، من ناحية توفيره السلوك الصالح لنفسه من ناحية، وتوفيره - من زاويته- شرط الظهور.

وكلا الأمرين ممّا تنشرح لها قلوب المؤمنين عامّة، وقلب قائدهم الكبير خاصّة.

دفع الشبهة التي مفادها: أنَ الإيمان بالمهديّ عليه السلام يؤدّي إلى التكاسل عن العمل والإصلاح

-٢-

وممّا قلناه الآن ينفتح المجال سخيّاً معطاءً للجواب على الشبهة المتداولة بين بعض المشكّكين، القائلة: بأنَّ انتظار المهديّ عليه السلام سببٌ للتكاسل عن الإصلاح وترك العمل الاجتماعيّ، وإهمال معارضة الظلم والظالمين؛ اعتماداً على اليوم الموعود والإصلاح المنشود.

فإنَّ هذه الشبهة ناشئةٌ من الجهل بالوظيفة الإسلاميّة والمسؤوليّات الدينيّة الملقاة على الفرد خلال عصرنا (عصر ما قبل الظهور).

فإذا عرفنا أنَّ من أهمّ مسؤوليّات الفرد إسلاميّاً إصلاح نفسه وغيره، وإيجاد الإخلاص العميق في نفسه وغيره، توفيراً لشرط اليوم الموعود، ذلك اليوم الذي يتحقّق فيه الغرض الأسمى من خلق البشريّة وإيجادها.

وعرفنا أيضاً: أنَّ من أعظم عوامل تنمية الإخلاص وتربية قوّة الإرادة، هو مرور الأفراد في ظروف الظلم والمصاعب، لا بمعنى الاستسلام لها والخنوع أمامها أبداً؛ فإنَّ هذا ممّا يجعل الفرد ضالاً منحرفاً.

وإنّما بمعنى ما يوجده الظلم في نفس الفرد من إحساسٍ بواقعه الفاسد والحاجة إلى الإصلاح، والتجاوب مع آمال الآخرين وآلامهم، وما يستطيع الفرد أن يُؤدّيه في بناء هذه الآمال ودفع هذه الآلام.

فيزداد خبرة ومراساً ووعياً تدريجاً وعلى طول الزمن. وبذلك فقط يستطيع أن يكون له شرف المشاركة في بناء الغد العادل المنشود.

إذن، فالعمل الاجتماعيّ هو الذي يشارك في إيجاد شرط الظهور ورفع مستويات الإخلاص في الأُمّة، [و]تمحيصه وتربيته، بنحوٍ يستحيل أن يوجد بدونه تحت تأثير الأسباب الطبيعيّة.

ومن المعلوم أنَّ الدافع الوجدانيّ للعمل إذا اقترن بهذا الهدف الكبير الذي يمتّ إلى نفع البشر أجمعين، وإلى الغرض من أصل وجودهم، بأوثق الصلات، كان مؤثّراً في دفع الفرد إلى العمل، أكثر من أيّ دافعٍ آخر على وجه الأرض.

وواضح أنَّه لولا الاعتراف بظهور الإمام المهديّ عليه السلام لما كان لهذا الدافع الكبير أيّ تأثيرٍ أو أيّ معنى. فمن السخف ما قيل من أنَّ الاعتقاد بوجود المهديّ عليه السلام دافع على الاستخذاء[1] وترك العمل.

---

(١) أي: الخضوع والذلّ. راجع الصحاح (للجوهريّ) ١: ٤٦، فصل الخاء.

العمل الاجتماعيَ: الأمر بالمعروف والجهاد

- ٣ -

القسم الثاني من التكاليف الإسلاميّة حال الغيبة: العمل الاجتماعيّ الإسلاميّ.

وينقسم هذا العمل إلى وجهتين رئيسيّتين:

أحدهما: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانيهما: الجهاد أو الدعوة الإسلاميّة.

ولكلٍّ منهما مجالهما الخاصّ وشرائطهما المعيّنة.

فالجهاد يتضمّن في مفهومه الواعي: العمل على ترسيخ أصل العقيدة الإسلاميّة، إمّا بنشرها ابتداءً أو الوقوف إلى جانبها دفاعاً بأيّ عملٍ أو وسيلة حاول الفرد أو المجتمع الوصول إلى مثل هذه النتائج، سواءٌ كان ذلك عن طريق التثقيف أو عن طريق الجهاد المسلّح.

وأمّا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمجاله هو الإطار الإصلاحيّ للمجتمع، ومحاولة حفظه عن الانحراف والتفكّك وشيوع الفاحشة والعصيان، بشكلٍ لا يمتّ إلى أصل العقيدة بصلة، وإلّا كان العمل جهاداً، كما عرفنا.

وشرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عديدة، تندرج في أمرين رئيسيّين:

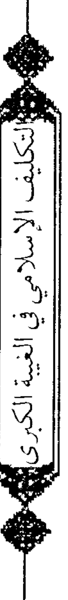


أوّلهما: العلم بالمعروف والمنكر، فلو لم يكن الفرد عالماً بالحكم الشرعيّ الإسلاميّ، أو لم يكن مُحرزاً بأنَّ فعل الشخص الآخر معصيةٌ للحكم، لم تكن هذه الوظيفة الإسلاميّة واجبة.

ثانيهما: احتمال التأثير في الفرد الآخر، وعدم احتمال المعارضة من قبله. فلو لم يحتمل أن يكون لقوله أثرٌ لم يجب القيام بالأمر والنهي الإسلاميّين، فضلاً عمّا إذا احتمل قيام الفرد الآخر بالمعارضة والمجابهة أو إيقاع الضرر البليغ.

ولذلك ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه سُئل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أواجب هو على الأُمّة جميعاً؟ فقال: «لا». فقيل له: ولم؟ قال: «**إنّما هو على القويّ المطاع، العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضعيف الذي لا يهتدي سبيلاً إلى أيٍّ من أيّ، يقول من الحقّ إلى الباطل. والدليل على ذلك كتاب الله عزّ وجلّ، قوله: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[1]، فهذا خاصٌّ غير عامٍّ**»[2].

وكذلك قوله عليه السلام: «**إنّما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمنٌ فيتّعظ أو جاهلٌ فيتعلّم، فأمّا صاحب سوطٍ أو سيفٍ فلا**»[3].



---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) وسائل الشيعة ٢: ٥٣٣ [طبعة قديمة] (منه قدس سره). وراجع الكافي ٥: ٥٩- ٦٠، كتاب الجهاد، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الحديث ١٥، ووسائل الشيعة ١٦: ١٢٦، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب ٢، باب اشتراط الوجوب بالعلم بالمعروف والمنكر، الحديث ١.

(٣) المصدر: ٥٣٤ [طبعة قديمة](منه قدس سره). وراجع تهذيب الأحكام ٦: ١٧٨، كتاب

وأمّا الجهاد فغير مشروطٍ بهذه الشرائط، كيف وأنّ المفروض فيه التضحية بالنفس والنفيس في سبيل الله تعالى والمصالح العليا. وقد نطق بذلك القرآن في عددٍ من آياته، يكفينا منه قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[1].

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال في كلام له: «فمَن ترك الجهاد ألبسه الله عزّ وجلّ ذلّاً وفقراً في معيشته ومحقاً في دينه، إنّ الله عزّ وجلّ أغنى أُمّتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها»[2].

وعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «أمّا بعد؛ فإنّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصّة أوليائه...»، إلى أن قال: «هو لباس التقوى ودرع الله الحصينة، وجُنّته الوثيقة، فمَن تركه رغبةً عنه ألبسه الله ثوب الذلّ وشمله البلاء، وديث[3] بالصغار والقمامة[4]، وضُرب على قلبه بالأسداد، وأُديل الحقّ منه

الجهاد، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الحديث ١١، وعوالي اللئالي ٣: ١٩٠، باب الجهاد، الحديث ٣٠، ووسائل الشيعة ١٦: ١٢٧، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب ٢، باب اشتراط الوجوب بالعلم بالمعروف والمنكر، الحديث ٢.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٢) الكافي ٥: ٢، كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد، الحديث ٢، وعوالي اللئالي ٣: ١٨٣، باب الجهاد، الحديث ٤، ووسائل الشيعة ١٥: ١٠، كتاب الجهاد، أبواب جهاد العدوّ وما يناسبه، باب وجوبه على الكفاية مع القدرة عليه، والاحتياج إليه، الحديث ٢.

(٣) أي: تذلّل، يُقال: طريق مديّث، أي: مذلّل. راجع الصحاح ١: ٢٨٢، فصل الراء، مادّة «ديث».

(٤) القمامة: الذلّة. راجع الصحاح ٥: ١٩١٥، فصل الخاء.

بتضييع الجهاد، وسِيمَ الخسف، ومُنع النصف...» الحديث[1].

إلَّا أنَّ هذا الجهاد ذا الأهمّيّة الكبرى في الإسلام، مشروطٌ بشرطين:

الشرط الأوّل: وهو خاصٌّ بجهاد الدعوة المتعلّق بنشر الإسلام في غير المسلمين، وهو أن يتعلّق أمر الولي الإسلاميّ الأصلي به، كالنبيّ صلّى الله عليه وآله أو أحد خلفائه المحقّين، وكالمهديّ عليه السلام؛ بخلاف جهاد الدفاع فإنّه غير مشروط بذلك، بل يكون واجباً عند الحاجة على كلِّ حال.

ولا يختلف حال هذين الجهادين بين أن يكونا دمويّين أو من قبيل التثقيف العقائديّ الإسلاميّ لغير المسلمين، أو في سبيل الدفاع عن الإسلام، في اتّصافهما بهذا الشرط أو عدمه.

الشرط الثاني: احتمال التأثير والوصول إلى النتيجة، ولو في المدى البعيد. فلو لم يحتمل الفرد أو المجتمع المجاهد الوصول إلى أيّ نتيجةٍ أصلاً، لم يجب الجهاد.

ويتمثّل ذلك على الصعيد العسكريّ بقوله تعالى: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2].

فاحتمال النصر العسكريّ منوطٌ بمجابهة الفرد المسلم لفردين من

---

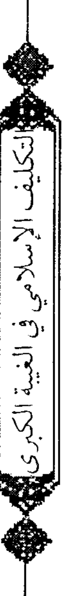
(١) وسائل الشيعة ٢: ٤٦٩ [طبعة قديمة] (منه قدّس سرّه). وراجع الكافي ٥: ٤، كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد، الحديث ٦، ووسائل الشيعة ١٥: ١٤، كتاب الجهاد، أبواب جهاد العدوّ وما يناسبه، باب وجوبه على الكفاية مع القدرة عليه، والاحتياج إليه، الحديث ١٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٦.

أعدائهم، أو مجابهة الجيش لضعف أفراده في الحروب التي قوامها القوّة العدديّة.

أمّا إذا كان الأعداء أكثر من الضِّعف، فاحتمال النصر يكون ضئيلاً، ومعه يكون وجوب الجهاد مرتفعاً.

وأمّا الجهاد العقائديّ التثقيفيّ، فهو وإن كان منوطاً باحتمال التأثير، فإن لم يكن التأثير محتملاً لم يكن هذا الجهاد واجباً، إلّا أنَّ ذلك إنّما يتصوّر [في] تثقيف الفرد الواحد، وأمّا في التثقيف العامّ للمجتمع، فهو يقينيّ التأثير والإنتاج في الجملة، بالنسبة إلى عددٍ من الأفراد قليلٍ أو كثيرٍ، من طالبي الحقيقة في المجتمع.



ـ ٤ ـ

القسم الثالث من التكاليف الإسلاميّة في عصر الغيبة: الأخذ بالتقيّة مفهوماً وسلوكاً.

فعن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام أنّه قال: «**لا دين لمَن لا ورع له، ولا إيمان لمَن لا تقيّة له، وإنّ أكرمكم عند الله أعلمكم بالتقيّة**». قيل يابن رسول الله: إلى متى؟

قال: «**إلى قيام القائم. فمَن ترك التقيّة قبل خروج قائمنا فليس منّا...**» الحديث[1].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «**التقيّة من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمَن لا**

---

(١) إكمال الدين: ٣٧١ - ٣٧٢، الباب الخامس والثلاثون: ما أخبر به الرضا عليه السلام من وقوع الغيبة، الحديث ٥، وكفاية الأثر: ٢٧٤، باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من النصّ على ابنه، ووسائل الشيعة ١٦: ٢١١، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب ٢٤، باب وجوب التقيّة مع الخوف إلى خروج صاحب الزمان، الحديث ٢٦. وفي إكمال الدين: قال عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: «**لا دين لمَن لا ورع له، ولا إيمان لمَن لا تقيّة له، إنّ أكرمكم عند الله أعملكم بالتقيّة**». فقيل له: يا ابن رسول الله إلى متى؟ قال: «**إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم خروج قائمنا أهل البيت، فمَن ترك التقيّة قبل خروج قائمنا فليس منّا**».

تقيّة له»[1].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**يا أبا عمر، إنّ تسعة أعشار الدين في التقيّة، ولا دين لمن لا تقيّة له...**»[2].

والمدلول الإسلاميّ الصحيح للتقيّة لا يتضمّن الاستخذاء تجاه الظلم أو الانعزال عن المجتمع بحال، وإنّما يتضمّن مدلولين رئيسيّين:

الأوّل: ستر الأعمال الاجتماعيّة التي تقتضي المصلحة الإسلاميّة سترها، إمّا باعتبار أنّ انكشافها يقتضي القضاء عليها أو باعتبار أنّه يقتضي الكفكفة من تأثيرها وقلّة إنتاجها، ويكون في سترها وخفائها استمراراً وازدهاراً.

وهو بعينه المفهوم الحديث عن الحزبيّة، التي تكون في الأعمّ الأغلب تعيش في جوٍّ سرّيّ متكتّم في عالم اليوم.

الثاني: المحافظة على النفس، لا حرصاً على الحياة، بل لأجل ضمان الحفاظ على المعتقدين بالحقّ الإسلامي الواقعيّ من المسلمين، والحدّ من نقصان عددهم بالقتل الذي قد يقع عليهم من قبل المنحرفين الظالمين، لو عملوا الأعمال المثيرة لهم وأعلنوا الجهاد ضدّهم.

---

(١) الكافي ٢: ٢١٩، كتاب الإيمان والكفر، باب التقيّة، الحديث ١٢، ودعائم الإسلام ١: ٥٩، كتاب الولاية، ذكر وصايا الأئمّة عليهم السلام، ووسائل الشيعة ١٦: ٢٠٤، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب ٢٤، باب وجوب التقيّة مع الخوف إلى خروج صاحب الزمان عليه السلام، الحديث ٤.

(٢) وسائل الشيعة ٢: ٥٤٤، [ط. ق] (منه قدس سره). والكافي ٢: ٢١٧، كتاب الإيمان والكفر، باب التقيّة، الحديث ٢، ووسائل الشيعة ١٦: ٢٠٤، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب ٢٤، باب وجوب التقيّة مع الخوف إلى خروج صاحب الزمان عليه السلام، الحديث ٣.

ومن ثَمَّ يكون عدم الأخذ بالتقيّة (مفهوماً وسلوكاً) مؤدّياً - على الأقلّ - إلى بطء وجود العدد الكافي من المخلصين الممحَّصين الذين يشكّل وجودهم أحد الشرائط الأساسيّة للظهور؛ ليتكفّلوا مسؤوليّة نشر القسط والعدل في العالم بين يدي المهديّ عليه السلام؛ فإنَّ مَن يقوم بالجهاد في كلِّ عصر، ليس إلَّا النخبة المؤمنة من المخلصين الذين يؤمّل فيهم النجاح في التمحيص الإلهيّ؛ لأنَّهم أسرع الناس إلى إطاعة هذا التكليف الإسلامي.

فإذا لم يكن الأمر بالتقيّة موجوداً لتسبّب الجهاد إلى استئصال المخلصين في كلِّ عصر، ولتعذّر وجود شرط الظهور على طول الخطّ، فيمتنع الغرض الإلهيّ الكبير في هداية العالم في اليوم الموعود.

وقد حقّقنا في (تاريخ الغيبة الكبرى)[1]: أنَّ موارد وجوب التقيّة هي بعينها موارد عدم وجوب الجهاد عند عدم اجتماع شرائطه. كما أنَّ موارد وجوب الجهاد هي موارد عدم جواز الأخذ بالتقيّة؛ على تفصيلٍ لا مجال الآن للدخول فيه.

- ٥ -

وعلى أيّ حال، فما على الفرد المؤمن إسلاميّاً، إلَّا أن يتّبع الأحكام والقواعد المفهومة عن الإسلام والمتبنّاة من قبله؛ لينال بذلك العدالة في السلوك الفردي أوّلاً، ويكون لبنةً صالحةً في بناء المجتمع ثانياً، ويكون من المخلصين الممحَّصين الذين سيكون لهم شرف المشاركة في اليوم الموعود

(١) راجع تاريخ الغيبة الكبرى: ٣٨٢، وما بعدها، القسم السابع: الأمر بالتقيّة في عصر الغيبة الكبرى.

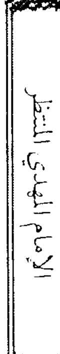
بقيادة الإمام المهديّ عليه السلام.

رزقنا الله هذه السعادة الكبرى، ووفّقنا للخير في الدارين، إنّه على كلّ شيءٍ قدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

محمّد الصدر

(دفع للطبع خلال شهر ذي الحجَة ١٣٩٣)





فهرس مصادر التحقيق



القرآن الكريم

١. تاريخ الخلفاء، لجلال الدين السيوطيّ، تحقيق: لجنة من الأُدباء، مطابع معتوق أخوان، بيروت، توزيع دار التعارف، عبّاس أحمد الباز، مكّة المكرّمة، بلا تاريخ.

٢. الموسوعة العربيّة الميسّرة، المكتبة العصريّة، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة: ٢٠٠٩م، شركة أبناء شريف الأنصاريّ للطباعة والنشر والتوزيع.

٣. مجلّة المقتطف، جريدة علميّة وصناعيّة، إشراف: يعقوب صروف وفارس نمر، المجلّد ٥٩، الجزء الثالث، بتاريخ: ٢٨ ذي الحجّة/ ١٣٣٩هـ.

٤. موسوعة الإمام المهدي عجّل الله فرجه، الإمام الشهيد السعيد آية الله العظمى محمّد الصدر قدس سره، الناشر: دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الأُولى: ١٤١٩هـ، ٢٠٠٧.

٥. وسائل الشيعة، الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية: ١٤١٤ هـ، قم المقدّسة.

٦. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، الطبعة الثالثة: ١٣٨٨ هـ.

٧. إكمال الدين وتمام النعمة، لأبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الصدوق)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاريّ، الناشر: مؤسّسة

النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، سنة الطبع: ١٤٠٥هـ، بدون ط.

٨. كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر، لأبي القاسم عليّ الخزاز القمّي الرازي، من علماء القرن الرابع، تحقيق: السيّد عبد اللطيف الحسينيّ الكوهكمريّ الخوئيّ، سنة الطبع: ١٤٠١، الناشر: انتشارات بيدار، قم- إيران.

٩. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربيّة، إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة: ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٠. عوالي اللئالي العزيزيّة في الأحاديث الدينيّة، للشيخ المحقّق المتتبّع محمّد بن علي الأحسائي، المعروف بابن أبي جمهور، قدّم له: السيّد المرعشي النجفي، الطبعة الأُولى: ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ط سيّد الشهداء، قم- إيران.

١١. تهذيب الأحكام، للشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتعليق: السيّد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٣٩٠ هـ.

١٢. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، تحقيق: السيّد إبراهيم الميانجي ومحمّد الباقر البهبودي، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، الناشر: مؤسّسة الوفاء، بيروت- لبنان.

١٣. النجم الثاقب في أحوال الحجّة الغائب، لخاتمة المحدّثين آية الله الشيخ حسين الطبرسي النوري قدس سره، تقديم وترجمة وتحقيق وتعليق: السيّد ياسين

الموسوي، الطبعة الأُولى: ١٤١٥، الناشر: أنوار الهدى، قم- إيران.

١٤. الاحتجاج، لأبي منصور بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعليق: السيّد محمّد باقر الخرسان، سنة الطبع: ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م، الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف.

١٥. الخرائج والجرائح، لقطب الدين الراوندي، تحقيق: مؤسّسة الإمام المهدي عليه السلام، بإشراف السيد محمّد باقر الموحّد الأبطحي، الطبعة الأُولى: ذي الحجة ١٤٠٩، الناشر: مؤسّسة الإمام المهدي - قم المقدّسة.

١٦. في انتظار الإمام، عبد الهادي الفضلي، بدون معلومات.

١٧. موقع الجامعة:(*rockefeller*).

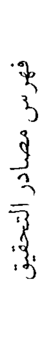
١٨. مسند أحمد، للإمام أحمد بن حنبل، الناشر: دار صادر، بيروت- لبنان، بدون ط.

١٩. سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق وتعليق: سعيد محمّد اللّحام، الطبعة الأُولى: ١٤١٠ = ١١٩٠م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٠. الأمالي، لشيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة، الطبعة الأُولى: ١٤١٤، الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم- إيران.

٢١. عقائد الإماميّة، المجتهد المجدّد الشيخ محمّد رضا المظفر، قدّم له: الدكتور حامد حنفي داود، أُستاذ الأدب العربي بكليّة الألسن- القاهرة، الناشر: مؤسّسة أنصاريّان، قم- إيران، بلا تاريخ وط.

٢٢. بحث حول المعجزات في الإسلام (للسيّد الشهيد محمّد الصدر



(مخطوط).
٢٣. الغيبة، لأبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (شيخ الطائفة)، تحقيق: الشيخ عباد الله طهراني، والشيخ علي أحمد ناصح، الطبعة الأُولى: ١٤١١هـ، الناشر: مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، قم المقدّسة.
٢٤. تاريخ الخلفاء، لإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: لجنة من الأُدباء، طبع في مطابع معتوق أخوان- بيروت، توزيع: دار التعارف (عباس أحمد الباز مكة المكرّمة)، بلا تاريخ وط.
٢٥. الثاقب في المناقب، المؤلف : ابن حمزة الطوسي، تحقيق: نبيل رضا علوان، الطبعة الثانية: ١٤١٢، الناشر: مؤسّسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم- إيران.
٢٦. مستدركات علم رجال الحديث، للشيخ عليّ النمّازي الشاهرودي، الطبعة الأُولى: ١٤١٢، طبع في مطبعة الشفق، طهران- إيران.
٢٧. رجال النجاشيّ، للشيخ الجليل أبو العبّاس أحمد بن عليّ النجاشيّ الأسديّ الكوفيّ، تحقيق: الحجّة السيّد موسى الشبيريّ الزنجانيّ، الطبعة الخامسة: ١٤١٦، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، قم- إيران.
٢٨. الإرشاد في معرفة حجج الله علي العباد، لأبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ (الشيخ المفيد)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، الطبعة الثانية: ١٤١٤= ١٩٩٣م، طبعت بموافقة اللّجنة الخاصّة المشرفة على المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد،

الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

٢٩. دعائم الإسلام، للقاضي النعمان المغربي، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، سنة الطبع: ١٣٨٣ = ١٩٦٣ م، الناشر: دار المعارف - القاهرة، بلا ط.

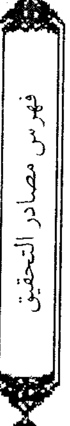
٣٠. تاريخ مدينة دمشق، تصنيف: الإمام العالم الحافظ أبي القاسم عليّ بن الحسن الشافعي، المعروف بابن عساكر، دراسة وتحقيق: علي شيري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، تاريخ الطبع: ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م، بيروت- لبنان، بلا ط.

٣١. المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله: التلخيص، للحافظ الذهبي، طبعة مزيّدة بفهرست الأحاديث الشريفة، بإشراف: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار المعرفة، بيروت- لبنان، بلا تاريخ وط.

٣٢. مناقب آل أبي طالب، الإمام الحافظ ابن شهر آشوب، تصحيح وشرح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، سنة الطبع: ١٣٧٦هـ، ١٩٥٦م، الناشر: المكتبة الحيدريّة، النجف الأشرف.

٣٣. الغيبة، لابن أبي زينب النعماني، تحقيق: فارس حسون كريم، الطبعة الأُولى: ١٤٢٢ هـ، الناشر: أنوار الهدى، إيران - قم.

٣٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، للشيخ الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، تصحيح وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة الأُولى: ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.





فهرس المحتويات



الفصل الثالث

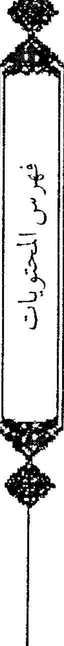
هل يمكن أن يطول العمر فوق المقدار الطبيعي

الفصل الرابع

الغيبة الكبرى

الفصل الخامس

التكليف الإسلامي خلال عصر الغيبة الكبرى


فهرس المحتويات